أسطورةُ دُورَنْدَال

رواية

أحمد حمادي

اسـم الكتـاب: أسطورةُ دُورَنْدَال
اسـم المـؤلـف: أحمد حمادي
الترقيم الـدولي: 978-977-6666-12-2

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع © محفوظة لدار المحرر الأدبي للنشر والتوزيع المشهرة برقم 24821 بتاريخ 2015/10/1. ومقرها جمهورية مصر العربية / محافظة الجيزة.

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشـر أو تخزينه في نطاق اسـتعادة المعلومات أو نقله بأي شـكل من الأشـكال دون موافقة قانونية مكتوبة من الناشـر يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

الأميرُ، مهْزومًا

بعدَ أن وصــلـتْ إلى أذنيهِ كلماتٌ لمْ يقدرْ على كتمانها طويلًا، أسـرعَ جنديٌّ شـابٌّ خارجَ المبنى الرئيسـيّ لحصـنهِ، فمرَّ بالسـاحةِ الكبيرةِ التي ملأها الثلجُ معَ حلولِ الليلِ، وانطلقَ إلى الغرفةِ الصــغيرةِ التي اعتادَ الالتقـاءَ فيهـا بزملائـهِ ليتحـدثوا وتشـــاركوا مـا وردَ إليهم مِن أنبـاءٍ عن الحربِ، التي لمْ يشتركوا فيها.

كان كحاملٍ لنبأٍ مثيرٍ متحمسًـا، فرغمَ أنهُ قد سـبقهُ أحدُهم في إعلانِ ســقوطِ عاصــمةِ العدوِّ ونجاحِ الجيشِ في احتلالها، إلا أنهُ حملَ خبرًا مِن نوعٍ آخرَ -خبرًا ينقلُ جزءًا مِن الأحداثِ إلى حيثُ كانوا-.

- «يا جماعة! خبرٌ هامٌّ!».

بحماســهِ خطا إلى داخلِ الغرفةِ، وبحماســهِ دفعَ البابَ ليُحدثَ ضجيجًا يعلنُ وصولهُ، ولكنهُ لمْ يُقابَلْ إلا بتجاهلٍ باردٍ مِن زملائهِ.

جلســوا جميعًا يلعبونَ بكروتِ اللعـبِ، ربمـا متراهنينَ على مَن يبتاعُ لهم مشــروباتٍ فيما بعد، وبالنســبةِ لهم، كانت قيمةُ الفوزِ تفوقُ قيمةَ الاستماعِ إلى الشـابِّ ولو للحظةٍ.

- «اســتمعوا! لقد عَرَفتُ كلَّ شـيءٍ عن أمرِ الرســولِ الذي جاءَ مُنذ قليلٍ».

ارتفعت العيونُ إلى المتحدِّثِ للحظةٍ، فرأى الفرصـةَ ليسـرعَ بما لديهِ:

- «في أيّ لحظةٍ الآنَ ستصلُ قافلةٌ، حسْبَما سمعتُ، لإيصالِ سجينِ حربٍ».

وبتلكَ الكلماتِ، وضعَ أكبرُ الجنودِ كروتهُ على الطاولةِ أمامهُ، فانتبهَ الجميعُ.

وتحدثَّ قائلًا: «سجينٌ واحدٌ يا بَدْر؟».

- «واحدٌ فحسب، ولكن ليسَ ذلكَ المدهشَ في الأمرِ... لقد سمعتُ اسمًا يردَّدُ على لسانِ القائدِ».

صاحَ أحدُ الجنودِ: «يجدرُ بكَ أن تتوقفَ عن التنصتِ على غرفةِ القيادةِ أيها الغبيُّ؛ إن لم تفعلْ قد نعثرُ على رأسكَ معلقةً في مكانٍ ما!».

- «فلتستمع في صمتٍ!».

تشاحنَ الجنودُ، وأوشكَ العراكُ أن ينشبَ بينهم، ولكن صبرَ كبيرِهم كان قد نفدَ، فصاحَ: «قلْ ما عندكَ وأرِحْنا!».

- «قاسم الجرَّاح يقودُ القافلةَ بنفسهِ».

بعدَ سماعِ الاسمِ أخذَ الجنودُ ينظرونَ إلى بعضهم بعضًا، وتوالتْ كلماتهم في ريبٍ ودهشةٍ:

- «قاسم الجراح؟ القائدُ بالجيشِ؟».

- «أليسَ هو مَن قادَ الهجومَ الأخيرَ؟ ذاكَ الذي أسقطَ عاصمةَ العدوِّ؟».

- «هناكَ إشاعةٌ أنهُ هو الذي قطعَ رأسَ ملكِ ألْسنْدا في الحربِ: بسيفهِ فصلها عن الجسدِ واحتفظَ بها».

تحدَّثَ كبيرهم ثانيةً: «وما الذي جاءَ بهِ إلى هنا، في هذا التوقيتِ؟».

ظنَّ أحدُ الجنودِ أنَّ لديهِ الإجابةَ؛ فسارع بالقول: «أيمكنُ أن يكونَ عائدًا مِن الحربِ؟».

- «الآن؟ إلى هنا؟ في قافلةٍ؟ أينَ عقلُكَ؟ لا يمكنُ أن يتركَ قائدٌ ميدانَ الحربِ دونَ سببٍ...».

وجدَ الشابُّ حاملُ الخبرِ الفرصةَ ليوصلَ آخرَ ما حملهُ مِن كلماتٍ، فتحدَّثَ بسرعةٍ: «هناكَ جزءٌ أخيرٌ مِن الخبرِ، ولكني لم أستطع التأكدَ منهُ... عن السجينِ الذي ذكرتهُ...».

بعدَ ساعةٍ مِن تلقي الجنودِ للخبرِ المفاجئِ، فُتِحَ بابُ الزنزانةِ الرئيسيةِ بالحصنِ، وتقدَّمَ إلى مرمى بصرِ السجناءِ شابٌّ في الثامنة عشر من العمرِ. كان ذا شعرٍ أسود طويلٍ، غطى عينيهِ السوداويتين وامتدَّ من الخلفِ إلى منتصفِ ظهرهِ، ليتقاربَ ويتباعدَ من ظهره وهو يخطو. وكان ذا وجهٍ أبيض أفسدهُ الغبارُ وتعبُ الطريقِ، فتجمَّعَ شكلهُ الغريبُ وملابسهُ التي نمَّتْ عن الغنى والرفاهيةِ مع الغبارِ وآثارِ السفرِ، ليخلقوا ما جذبَ أنظارَ كلِّ مَن كانوا بالزنزانة.

- «تقدَّم إلى الداخلِ».

ظلَّ الشـــابُّ يرفضُ الإجابـةَ أو التنفيـذَ، وعينـاهُ لا تريـان إلا الأرضَ.

- «عندما تُؤمَر تنفِّذ!».

دفعَ الجنودُ الشـــابَّ إلى الـداخـلِ ليصـــيرَ الوافـدَ الأجـددَ إلى الزنزانـةِ، وليصـــيرَ ألمُ ســـقوطهِ إلى الأرضِ أولَ تحيـةٍ يلقـاهـا في مثواهِ الجديدِ، ثم أُغلقَ البابُ، وأُوصـــدَ بإحكامٍ ليبدأ الســجناءُ في تفقدِ هذا الوافدِ الجديدِ.

ومِن بينهم، تقدَّمَ رجلٌ قصـيرٌ يشـارفُ قصـرهُ أن يجعلهُ قزمًا، فانحنى تجاهَ الشـــابِّ الذي ظلَّ جالسًـــا على ركبتيهِ، وحاول اســـتطلاعَ ملامحهِ التي حجبها شعرهُ عن الجميعِ.

- «يا لكَ مِن شـــابٍّ منحوسٍ... أن ينتهي بكَ الأمرُ هنا دونَ أيِّ مكانٍ».

ظلَّ الشـابُّ سـاكنًا، ولمْ يُبْدِ أيَّ تفاعل أو ردّ فعلٍ تجاهَ مُحدِّثهِ؛ فاسـتمرَّ القزمُ في سـردِ كلماتٍ كثيرًا ما قالها لأمثالهِ مِن الوافدين الجددِ -رغم نُدْرتهم-: «عزيزي الصـــغير، أنتَ في حصـــنِ نُدْفَةِ الثلجِ. مَن يدخلهُ يلقى مصـيرًا مِن اثنين: إما أن يُعدمَ بالصـباحِ في سـاحةِ الحصـنِ، أو أن يُسْجنَ بقيةَ حياتهِ هنا. الأمرُ بسـيطٌ، ولا ثالثَ للاحتماليْن؛ لذلك، دائمًا ما أسـعى أنا وأصـدقائي لمسـاعدةِ الوافدين الجددِ -مَن سـيعيشُ منهم طبعًا-، حتى لا يتعرضـوا لسـوءٍ داخلَ الزنزانةِ...أا، يمكنكَ القولُ إننا نعملُ حتى لا تحدثَ أيُّ (حوادث مؤســفة) داخلَ الزنزانةِ -أنتَ تفهمُ قصدي-».

لمْ يردَّ الشابُّ، فتنهدَ القزمُ وتحلى بالصبرِ أمامَ ما رآهُ وقاحةً مِن الوافدِ الجديدِ، وبدأ في النظرِ مرةً أخرى، بتمعنٍ...

- «*لا يبدو مِن سكانِ إحدى القرى القريبةِ...*».

أخذَ يفكرُ لحظةً، ثم طفتْ بذهنهِ كلماتُ أحدِ الجنودِ -واحدًا مِن هؤلاء الذين رشاهم ليحصلَ على نبأٍ كلّ جديدٍ-، فابتسمَ وقال: «أنتَ ذلك الأميرُ الذي وردَ في الشائعاتِ... (الأميرُ المهزومُ)، أليس كذلك؟ حالُكَ سيئةٌ لدرجةِ أني ظننتكَ شحاذًا! تستحقون ما جرى لكم! رغمَ أني لا شأن لي بالسياسةِ، لطالما كرهتُ ألْسنْدا، خاصةً العائلةَ الملكيةَ وحاشيتها؛ لقد كانَ هناكَ وقتٌ عندما عملتُ لأحدِ عليةِ القومِ بألْسنْدا، لعنةُ الله على تلكَ الأيامِ! عاملوني كالعبدِ، وعندما طالبتُ بحقوقي، ألفقوا بي تهمةً وأخرجوني مِن البلادِ... والآن انظر كيف تنقلبُ الحالُ! العبدُ وسيّدهُ في زنزانةٍ واحدةٍ!».

استمرَّ القزمُ في الحديثِ، ولكنهُ لمْ يرَ تعبيرَ وجهِ أميرِ ألْسنْدا، فلمْ ينلْ ما طلبهُ مِن شعورٍ بالعلوّ والرضا، وتدريجيًّا، تحوَّلَ ذمهُ لألْسنْدا إلى حنقٍ وغضبٍ وجَّههُ على مَن وقعَ بيدهِ باللحظةِ -الأميرَ-.

وعندما انتهى، ضمَّ القزمُ يديهِ وطقطقَ رقبتهُ، ثم قال بسخريةٍ: «ورغمَ كلّ ذلكَ، نضمنُ لكَ بقاءً سالمًا إن دفعتَ الثمنَ الملائمَ».

لمرةٍ أخرى، لمْ يُجِب الأميرُ، فعضَّ القزمُ على شفتيهِ وأوشكَ أن يخسرَ صبرهُ، ولكنهُ لمحَ شيئًا صغيرًا يلمعُ بيدِ الأميرِ اليسرى، فقال: «نقبلُ هذا الخاتمَ عوضًا إن شئتَ».

بلا إجابةٍ، فاضَ بالقزمِ الكيلُ، فنثرتْ عروقهُ، وتقدَّمَ فأخذَ بثيابِ الأميرِ مِن قبلِ عنقهِ، ورفعَ رأسهُ ليرى لأولِ مرةٍ وجههُ، ثم أخذَ

يصيحُ في ظلِّ الصمتِ الذي حلَّ بالزنزانةِ كلها: «أمثالكَ مِن المتعجرفين نهايتهم بيدِ أمثالي؛ الطاولةُ مقلوبةٌ هنا، فلا تظنَّ أن بيدكَ شيئًا: إما أن تدفعَ الثمنَ أو تتحمَّلَ العواقبَ. إن كانت كلُّ ألْسنْدا بحقارتكَ، فهي تستحقُّ ما يحدثُ لها—».

لأولِ مرةٍ ركَّزتْ عينا الشابِّ على القزمِ، واندفعَ كفُّهُ ليسدِّدَ لكمةً إلى وجههِ، طرحتهُ أرضًا وجعلتهُ لا يُنهي كلامهُ، وتأزَّمَت الحالُ داخلَ الزنزانةِ؛ فأسرعَ مساعدو القزمِ للتدخلِ.

- «كيف تجرؤ على فعْلِ ذلك بالزعيمِ؟».

- «سأذيقكَ الموتَ!».

وتراجعَ جميعُ مَن لمْ يكنْ لهم شأنٌ خائفين مِن عاقبةِ الوقوفِ في وجهِ أحدِ الغشماءِ العميّ الذين اندفعوا. ورغمَ هذا الخوفِ، فإنَّ عراكًا يليقُ بهِ لمْ ينشبْ؛ بعدَ ضربهِ القزمَ، عادَ الأميرُ إلى حالتهِ مِن اللاوعيِ بما يحدثُ حولهُ، حتى وصلَ أولُ المهاجمين وسدَّدَ أولَ ضربةٍ إليهِ، وحينها سقطَ إلى الوراءِ ضعفًا، وبنهايةِ الأمرِ صارَ ككيسِ الرَّملِ يتقاذفونهُ فيما بينهم ويتناوبون في ضربهِ، إلى أن سقطَ مغمًى عليهِ وسطَ أصواتِ ضحكٍ ووعيدٍ.

جلسَ قائدُ الحصنِ على مكتبهِ الخشبيّ بأعلى أدوارِ المبنى الرئيسيّ للحصنِ، وجلسَ أمامهُ رجلٌ ضخمٌ عرَّف نفسهُ منذ لحظةٍ كقاسم الجرَّاح، وأوشكَ على البدءِ في حديثٍ عدَّهُ مهمًا، لولا أن جاءَ طرْقٌ على البابِ وإذنٌ بالدخولِ.

- «سـيـدي، جئـتُ أبلغُ، السـجينُ متحفظٌ عليـهِ بـالزنزانـةِ الرئيسيةِ، أمِن أوامر أخرى؟».

أجابَ قائد الحصنِ: «لا، يمكنكَ الذهاب».

ولكن قبل أن يُغلقَ البابُ ثانيةً، جاءَ صـوتُ قاسـم الجراح، صوتًا عاليًا أجشًّا، قائلًا: «جهّزوا منصةَ الإعدامِ للغدِ».

ارتبـكَ الجنـديُّ قليلًا وحوَّلَ نظرهُ إلى قـائـدِ الحصـنِ فوجـدهُ مسـتسـلمًا لكلماتِ قاسـم، فسـارعَ بالردِّ: «أمركَ سـيدي!»، وانسـحبَ في صمتٍ مِن أمام الاثنين، غالقًا البابَ.

- «منصةُ الإعدامِ؟ لمْ أسمعْ بهذا مِن قبل».

اعتدلَ قاسم في كرسيهِ ونظرَ إلى قائدِ الحصنِ في ضيقٍ بكلماتِهِ. وبذلكَ الضيقِ، بدا قاسم الآن أمام القائدِ أطولَ مِن ذي قبل وأكثرَ رعبًا مِن الشخصيةِ التي ذُكرَ لهُ وصفها مِن قبل. كان قاسم يفوقُ المترين في طولهِ، وعلى وجههِ كانت آثارُ المعاركِ الطويلةِ، منها ندبةٌ على عينهِ اليسرى، نجت العينُ مِن مُحْدِثِها بأعجوبةٍ، وبشعرهِ الأسودِ كانت بضعُ خصلات بيضاء تتحدَّثُ عن خبرةٍ طويلةٍ، أما عيناهُ فحملتا حزمًا يصيرُ مع خلقهِ الشديدِ قسوةً.

ثبتَ بدرعهِ العظيمِ في كرسيهِ كمَن يكظمُ غيظًا، ثم قالَ: «الآن سمعتَ».

- «هل لي أن أفهمَ؟ ما فائدةُ إحضارهِ إلى هنا إن كانتْ نهايتهُ أن يعدمَ؟».

- «التحضيرُ للإعدامِ إجراءٌ وقائيٌّ».

-«كيف؟».

- «أنتَ تعلمُ، ملكُ ألسندا ماتَ، والعاصمةُ سقطتْ، ولكن كلَّ هذا لمْ يمنع الألسنديين مِن المقاومةِ. والظاهرُ لنا أن وجودَ الأميرِ -حتى وإن كانَ قد فقدَ شعبيتهُ- كورقةِ مساومةٍ مهمٌ؛ لذلك قررَ القائدُ الأعلى -سموهُ ابن الإمبراطور- أن يُرسِلَ الأميرَ سجينًا إلى العاصمةِ، وأرسلني مع بضعِ جنودٍ فقط، واثقًا في أني سأنجزُ المهمةَ».

- «والمهمةُ إعدامهُ؟ كورقةِ مساومةٍ؟!».

غضبَ قاسم قليلًا، ولكنهُ كتمَ الغضبَ وأكملَ: «قبل تحرُّكِنا مِن ألسندا، بعثَ سموُّهُ برسولٍ إلى عاصمةِ الإمبراطوريةِ يطلبُ إمداداتٍ لتساعدَ في نقلِ السجينِ، وحدَّدَ نقطةَ التقابلِ في هذه القلعةِ. ولكن منذ يومين، بدأتُ أشعرُ أن أحدًا يراقبُ تحرُّكاتنا ويتبعنا... وأنا أكرهُ التردُّدَ، وأكرهُ ألا أستطيعَ تنفيذَ مهمتي، خاصةً إن كانتْ مِن ابن الإمبراطورِ جلالته؛ لذلك، كإجراءٍ احترازيٍّ، إن لم تأتِ الإمداداتُ غدًا، سيُعدمُ الأميرُ».

أطرقَ قائدُ الحصنِ قليلًا، وتعجَّبَ مِن تطابقِ عنادِ الرجلِ أمامهُ مع العنادِ المشاعِ عنهُ، وبالنهايةِ أخذَ يتحرى حكمةَ كلماتهِ، فوجدَ بها تناقضًا واضحًا، وقال: «وإن أُعْدِمَ، ألن تفقدَ ورقةَ المساومةِ؟».

- «أنا لا أحققُ المستحيلَ. إن هاجمتْ قوى المقاومةِ هذا الحصنَ الآن، هل تستطيعُ الدفاعَ عنهُ بعددِ الرجالِ الذي تمتلكهُ؟».

- «لا...».

- «قد تعبرُ الحدودَ وتهجمُ في أي لحظةٍ؛ لذلك وضعتُ صباحَ الغدِ كحدٍّ أقصى، إن لمْ تصل الإمداداتُ كما هو متوقعٌ، فلن أجازفَ».

لمْ يرضَ قائدُ الحصنِ، ظانًا بأن قلقَ قاسم ليس بالمبررِ، ولكنهُ خشِيَ أن يتحدثَ بما في قلبهِ أمام الرجلِ العملاقِ، ففي النهايةِ، كقائدٍ للحصنِ لم يمتلكْ خبرةً أو سلطةً لينصُرَ رأيًا، وانتهى بالقولِ: «إذن يُعْدَمُ غدًا».

أضافَ قاسم: «غدًا صباحًا في ساحةِ الحصنِ أمام أعيننا، طبعًا بالقليلِ مِن الإذلالِ إن أمكنَ... أن أعودَ برأسهِ مع رأسِ أبيهِ قد يغفرُ لي قليلًا».

في هذا العالمِ الغلبةُ للقويِّ: الدولُ تُبنى وتُهدمُ، ولا يبقى إلا القويُّ قائمًا. أما الضعيفُ فيسعى وراء اكتسابِ قوةٍ تحفظهُ مِن أن يُسْحَقَ تحت أقدامِ الأقوياءِ. وفي نفسِ الوقتِ، يتشاركُ القويُّ مع الضعيفِ، سواءً، في السعي وراء الواردِ الطبيعيةِ التي في بعضِ الأحيانِ تحددُ الأقدارَ. ولكن ما هي القوةُ؟ وما هو الضعفُ؟ لا يعلمُ الكثيرون إجاباتٍ لهذين السؤالين إلا بعد فوات الأوان.

وفي هذا العالمِ القاسي والجميلِ...

في عامِ ١٤٠٧ مِن النتيجةِ المقدسةِ، أعلنتْ إمبراطوريةُ دِيمِنْتِيَا الحربَ على مملكةِ ألسندا المجاورةِ لها. بلا سببٍ لتبريرِ أفعالها، اجتاحت الإمبراطوريةُ جنوبَ ألسندا واستولتْ على مناجمِ الجِيمَاتَيْت -أهمَ الواردِ الطبيعيةِ في هذا العالمِ، والذي يستخدمُ في صناعةِ أسلحةٍ متطورةٍ في هذا العصرِ القديمِ- وبقوتها الحربيةِ الكاملةِ، زحفتْ جيوشُ ديمنتيا تجاهَ عاصمةِ ألسندا.

حاولتْ جيوشُ ألسندا التصدي للتعدي، ولكنها انهزمتْ بسرعةٍ...

في نهايةِ عامِ ١٤٠٨، انهزمَ آخِرُ جيوشِ ألسندا، وسقطت العاصمةُ في يدِ القائدِ الأعلى -ابن الإمبراطور الديمنتي-. وبسقوطِ العاصمةِ، لمْ يعدْ هناك مَن يدافعُ عن ألسندا غير قوى مقاومةٍ مبعثرةٍ وضعيفةٍ، اتخذتْ مِن الأريافِ والغاباتِ ملاذًا لها. وفي ذاتِ الوقتِ، بدأتْ إمبراطويةُ ديمنتيا تحاولُ محوَ سلطانِ العائلةِ الملكيةِ مِن الوجودِ، فقُتِلَ ملكُ ألسندا في الحربِ، وتقررَ استغلالُ الأميرِ والأميرةِ فيما يخدمُ مصالحَ ديمنتيا السياسيةِ.

والآن في بدايةِ عامٍ جديدٍ، تبدأ قصةُ السنواتِ التي تبعتْ سقوطَ ألسندا، تبدأ بمجموعةٍ مِن أشخاص حملوا على أكتافهم قدرَ ومستقبلَ ألسندا، ووقفوا ندًّا للإمبراطوريةِ الديمنتيةِ -أقوى دولة في العالمِ في ذلك الوقتِ-... كأملِ ألسندا الوحيدِ...

قصةُ ليون -الأمير المهزوم- تبدأ الآن...

الأميرُ، اسمهُ: ليون

- «هل ستظلُّ هكذا؟».

نائمًا على الأرضِ والدمُ يسيلُ مِن وجههِ، نظرَ الأميرُ المهزومُ إلى أعلى، فرأى وجهَ عجوزٍ ذي لحيةٍ بيضاء طويلةٍ، ثم عادَ ليفقدَ تركيزهُ على ما حوله، وأخيرًا نطقَ بأولِ كلماتهِ: «هل لاحظتَ أني صحوتُ؟».

- «الجميعُ لاحظَ».

-«اتركني».

لمْ يفعل العجوزُ كما طُلِبَ منهُ، ولكنهُ انحنى وأمسكَ بيدِ الأميرِ، قائلًا: «هيَّا، قمْ».

وكانت القوةُ التي منحتها يدُ العجوزِ كافيةً لتعيد الأميرَ إلى قدميهِ، فوقفَ ونظرَ حولهُ. كانت الزنزانةُ واسعةً لكن مظلمةً، رأى بها وجوهًا شاحبةً تظهرُ كلما مرَّتْ بالقربِ مِن المشعلِ الوحيدِ، ثم تبعُد فتختفي في الظلامِ ثانيةً، ولمْ يعلمْ إن كان المكانُ كلهُ تحتَ الأرضِ أم فوقها. وكان القزمَ ومَن معهُ في ركنٍ بعيدٍ؛ فقد اكتفوا بما فعلوا، خاصةً بعد أن سمعوا أن موتَ الأميرِ قريبٌ.

وفي النهاية، تبعَ الأميرُ العجوزَ إلى ركنٍ آخر مِن أركانِ الزنزانةِ، بعيدًا عن حيث جلسَ القزم.

- «ما اسمكَ؟».

جلسَ الأميرُ وظهرهُ إلى الحائطِ، فوجدهُ شـديد البرودةِ، وجلسَ العجوزُ بجانبهِ، فوجد الحائطَ دافئًا.

أجابَ الأميرُ: «وهل سيُحْدِثُ ذِكْرهُ فرقًا؟».

ضحك العجوزُ ضحكةً خفيفةً، ثم قال: «تبخلُ عليَّ باسمكَ؟ أنا مثلكَ مِن ألسندا، مع أني لمْ أرها منذ وقتٍ طويلٍ جدًا. وقتما زرتها آخر مرةٍ، بلغني نبأ مولدِ الأميرِ ليون، فكنتُ أريدُ التأكدَ أني لمْ أغِبْ وقتًا كافيًا ليصيرَ ذلك الطفلُ رجلًا كبيرًا مثلكَ».

- «غِبْتَ ١٨ سنة. أجبتُكَ على سؤالكَ، فماذا استفدتَ؟».

- «(المتوقعُ أن يسألَ الرجلُ عن متى يصيرُ حرًا، لا عن كم سنةً مضاها بالسجنِ)، أليس ذلك ما تريدُ قولهُ؟».

لمْ يُجِب الأميرُ ليون، فنظرَ العجوزُ إليهِ عن قربٍ، حتى يرى وجههُ ويستطلعَ ما ينبغي عليهِ أن يقولَ.

وهو يشيرُ إلى يدِ ليون اليسرى، تحدثَ ثانيةً: «يبدو أن هذا الخاتمَ غالٍ، أعني معنويًا... أولُ ما تحققتَ منهُ عندما صحوتَ كان وجودهُ، أيحملُ معنًى خاصًا؟».

- «أهدتهُ لي أمي قبل وفاتها».

قال العجوزُ: «تناقضٌ غريبٌ... تشارفُ على استقبالِ الموتِ، وتهتمُّ بمثلِ هذه الهديةِ، أتظنُّ أنكَ ستحملها إلى القبرِ؟».

- «ماذا تريدُ مني؟».

سكتَ العجوزُ لحظةً، ثم رفعَ رأسَ ليون لينظرَ في وجههِ وقالَ: «أنا كثيرُ الكلامِ، أعلمُ، ولا أتوقعُ مِن غريبٍ قابلني في مثلِ هذه الظروفِ

أن يتقبلَ كلامي بوديةٍ، ولكني، سيدي الأمير، كأحدِ أبناءِ ألسندا سأحكي لكَ قصةَ رجلٍ عجوزٍ... قصةً فاشلةً، قصةً قصيرةً، لا تُمتِعُ المستمعَ. وسأحققُ مشيئتي هذه، وإن لمْ ترضَ».

لمْ يُجِبْ ليون، وأكملَ العجوزُ: «في زنزانةٍ قذرةٍ يجلسُ رجلٌ عجوزٌ كلَّ يومٍ، لا يتوقعُ الخروجَ طوالَ حياتهِ، ولا يعرفُ إن كان شيئٌ ينتظرهُ بالمستقبلِ. كان يومًا صاحبَ مالٍ وأرضٍ وعائلةٍ، ولكنهُ الآن لا يمتلكُ حتى أن يسمعَ أخبارهم. ومع ذلك، يظلُّ هذا العجوزُ يعيش أيامهُ، يأكلُ مما يُعطى مِن طعامٍ شديدِ المرارةِ ويأملُ كلَّ يومٍ أن يعودَ ليرى أبناءهُ وأحفادهُ... يرفضُ الاستسلامَ وإن كانتْ هذه الحياةَ، لماذا يا تُرى؟».

- «هل يمكنهُ أن يغيّر الماضي؟».

- «أوافقكَ الرأيَ، سيدي الأمير، لا يستطيعُ تغييرَ ماضيهِ ولا مستقبلهِ. ولكن لأنهُ لا يريدُ ذلك الآن؛ لأنهُ ما زالَ خائفًا ألا يكونَ ابنهُ قد حصلَ على حياةٍ أفضل، لأنهُ لا يريدُ أن يخرجَ ليراهُ على حالٍ غير التي حلمَ بها».

نظرَ ليون في وجهِ العجوزِ، لقد علمَ الآن غرضَهُ، وهو أن يشجّعَهُ ويخرجهُ مِن حالتهِ السيئةِ؛ لذلكَ أجابَ: «لا تقل لي أنهُ يمكنهُ إن شاءَ أن يخرجَ مِن مثلِ هذا السجنِ».

- «فقط إن أراد».

- «إنهُ لا يواجهُ الواقعَ فحسب؛ الواقعُ أشدُّ وأفظعُ».

ضـحك العجوزُ وقـال: «ســمعتُ نفس الجملةِ من ابني يومًا؛ سـأنصحكَ كما نصحتهُ، الإنسـانُ وحدهُ هو مَن يقللُ مِن شـأنِ نفسـهِ ويحبسُ نفسهُ... فقط لأنهُ يظنُّ أنهُ لا يقدر».

- «وماذا عليَّ أنا الذي أنتظرُ الإعدامَ أن أفعل؟».

- «تمنَّى الحياةَ».

ضحكَ ليون مِن الإجابةِ البسـيطةِ ونظر إلى أعلى، مريحًا رقبتهُ ومتفاديًا العجوزَ.

قال العجوزُ: «هل تريدُ أن تموتَ؟».

-«لا».

-«لماذا؟».

لمْ يُجِبْ ليون، فسارعَ العجوزُ بالقولِ: «فكِّر في السببِ».

ومع آخِر كلماتِ العجوزِ، جاء صــوتُ القزمِ من الناحيةِ الأخرى يصيحُ مترددًا: «أيــ. أيها العجوز! دَفعُكَ لدَيْنِ الحقيرِ لا يعني أن بإمكانكَ مصـادقتهُ! هذا يكفي! لن يُحدِّثهُ أحدٌ إلى أن يتركنا للرفيقِ الأعلى! فهمتم جميعًا؟!».

ضحكَ العجوزُ ثانيةً وهو يقومُ؛ فالقزمُ ظلَّ خائفًا طوال الوقتِ مِن أن يُكررَ ليون ضربهُ، وتحدَّثَ مِن مسافةٍ مناسبةٍ.

- «لماذا يريدُ الإنسانُ أن يحيا، حتى وإن خسرَ كلَّ ما بالحياةِ؟».

أضافَ ليون سؤالهُ لأسئلتهِ العديدةِ، وأخذَ يقضي الليلَ يفكِّرُ، محاولًا استقبالَ الفجرِ -قبل الموتِ- برؤيةٍ أوضحَ لما هو بهِ. كان متأكدًا مِن شيءٍ واحدٍ: في عدةِ أيامٍ خسرَ العديدَ مما قضى حياتهُ لأجلهِ: أولًا، كسر التقليدَ الأهمَّ بألسندا، وهو أن يقودَ جزءًا مِن الجيشِ بنفسهِ؛ كسرهُ لأن أباهُ خافَ أن يفقدَ وليَّ العهدِ الوحيدَ، ففقدَ كرامتهُ. ثانيًا، لمْ يستطعْ حمايةَ أختهِ الأميرة، بل وهو لا يعلمُ إلى الآن ماذا حدثَ لها. وأخيرًا، فقد كلَّ شيءٍ -الوطنَ والبيتَ والعائلةَ، والأملَ والقوةَ والمساندةَ- . أين كان طريقهُ إلى الحياةِ التي اعتادها؟

ومع كلِّ ذلكَ، أرادَ أن يهربَ مِن الموتِ الذي انتظرهُ. ومع كلِّ ذلكَ، اختارَ الحياةَ.

- «إنه في دم أبناءِ ألسندا، أليس كذلك؟ هذا الشعورُ بقلبي... أريدُ الحياةَ حتى مع اليأسِ... هذا الشعورُ خرجتَ بهِ إلى الحربِ، أليس كذلك؟».

تحدَّث ليون وكأن والدهُ الملكَ الصالح بالسماءِ يسمعهُ، ثم بدأ النومُ يغلبهُ قليلًا بينما اقتربَ فجرُ ليلتهِ بالزنزانةِ.

في لحظةٍ، كانَ داخلَ نفسِ الزنزانةِ، ولكن داخلَ حلمٍ، حلمٍ عكسَ واقعهُ كما كان، حتى ظنَّ أنهُ لمْ ينمْ مطلقًا. ولكن حيرتهُ بين الواقعِ والحلمِ اختفتْ بسرعةٍ؛ ففي اللحظةِ التاليةِ سمعَ صوتَ البابِ الحديديِّ الطويلِ يسقطُ، ورفعَ رأسهُ فوجدَ ضوءًا قويًا يغزو ظلامَ الزنزانةِ، ثم مِن وسطِ الضوءِ ظهرتْ ثلاثُ فتيات في سنهِ أو أكبرَ قليلًا،

وسِـرن تجاههُ دونَ غيرهِ، فنظرَ إليهنَّ بعينين أعماهما الضـوءُ، وسـألهنَّ: «مَن أنْتُنَّ؟».

- «هل هذا هو الأميرُ؟».

-«أجل».

- «هل أنتِ متأكدةٌ؟».

اقتربن مِن ليون، وسـرعان ما مددن أيديهن تجاههُ وسـاعدنهُ على الوقوفِ ثانيةً، ثم كما ظهرن اختفين، واختفت الزنزانةُ كلها مِن الحلمِ، وبدلًا منها ظهرتْ غرفتهُ في القصـرِ الملكيّ في سِـنْفُنِي -عاصـمةَ ألسندا-.

وقفَ وسـطَ الغرفةِ التي تعوَّدَ عليها، وملأ ضـوءُ الظهرِ أركانها كما عهدهُ أن يفعلَ، ولكن حولهُ بدأتْ عدةُ أشـباح سـوداء تدورُ، تظهرُ وتختفي بنمطٍ دائمٍ، منها ما يشـبهُ أختهُ فيحاولُ جذبَ يدهِ، ومنها ما يشبهُ صورةَ قاسم الجراح أو ابن الإمبراطور فيحاولُ دفعهم بعيدًا.

ثم بنهايةِ دورانِ الأشـباحِ، اختفتْ جميعها، وتكسَّـرتْ أرضُ الغرفةِ، فنظرَ ليون تحتهُ ليجدَ سهلًا كبيرًا يغطيهِ العشبُ، ثم إلى طرفي السـهلِ ليجدَ جيشين عظيمين جنودهما لا تحصى، يقفان وجهًا لوجهٍ، ربما لابتداءِ معركةٍ ما.

وفي النهايةِ، التفتَ إلى منتصـفِ السـهلِ -بين الفريقين-، فوجدَ عشرة أشخاص يقفون في دائرةٍ، وأسلحتهم مشهرةٌ تجاهَ كلا الجيشين.

وفي لحظةٍ وجدَ نفسهُ أحدَ العشرةِ، يقفُ بينهم.

بدأ المطرُ يهطلُ في أرضِ المعركةِ، واندفعَ الجيشـــان بقاداتهما وسطَ الصيحاتِ وأصواتِ الأسلحةِ... وانتهى الحلمُ.

عادَ ليون إلى الزنزانةِ ليجدَ أحدَ الجنودِ يركلهُ ويصيحُ: «استيقظْ أيها السجين! حان الوقتُ!».

جاء الصباحُ ولمْ تصِل الإمداداتُ مِن العاصمةِ، وأخذ قاسم الجراح قرارهُ بالمضيّ قُدُمًا بالإعدامِ.

شُدَّ ليون مِن شعرهِ ليقومَ مِن مجلسهِ، ثم طُرِحَ أرضًا ثانيةً، وربطَ الجنديُّ يديهِ وراءَ ظهرهِ بإحكامٍ، ثم أعاده إلى قدميهِ، وسارَ بهِ إلى خارجِ الزنزانةِ وسطَ جهْرِ القزمِ ومَن معهُ بفرحتهم وكتمانِ العجوزِ لأدعيتهِ بالرحمةِ والعونِ للأميرِ الشابّ. وأُغلِقَ بابُ الزنزانةِ ثانيةً، فنظرَ ليون حولهُ نظرةً قبل أن يُدْفعَ إلى الأمامِ. وتحمَّلَ سوءَ المعاملةِ وهو يساقُ إلى خارجِ المبنى، وظلَّ ينتظرُ فرصةً ليقومَ بأي حركةٍ تنقذهُ مما كان فيه، ولكنهُ في النهايةِ، وصلَ إلى ساحةِ الحصنِ دونَ الحصولِ على ما أرادَ.

هناك، وجدَ منصةً كبيرةً تنتظرهُ بالقربِ مِن برجِ الحصنِ، ورأى جمْعًا مِن الجنودِ يقفون في مواجهةِ المنصةِ، منتظرين العرضَ الذي سيكونُ ليون ممثلهُ الرئيسيَّ. ولمْ يتضايقْ مِن الإهاناتِ التي سمعها مِن الحشدِ، ولمْ يبالِ بالضربِ المتواصلِ على ظهرهِ؛ فإن شُتِّتَ ذهنهُ عما كان يفكّرُ فيهِ، فقدهُ للأبدِ.

- «لن أموتَ، لا هنا، لا الآن».

كان يكررُ هذه الجملةَ بالقدرِ المستطاعِ، حتى وصلَ إلى المساحةِ الصغيرةِ التي تفصلُ المنصةَ عن الحشدِ، وفي هذه البقعةِ استقبلهُ منظرٌ فضَّلَ الموتَ عليهِ.

رأى رمحًا مثبتًا في الأرضِ وموضوعة في سنِّهِ رأسُ ملكِ ألسندا - رأسَ أبيهِ-، وفي تلك اللحظةِ فلتَ مِن يدي الجنديِّ الذي قادهُ، وانطلقَ بيديهِ المربوطتين تجاهَ الرجلِ الضخمِ الذي وقفَ بجانبِ الرأسِ.

- «قاسم الجراح! أيها الـــ».

أمسكَ قاسم الأميرَ مِن رقبتهِ ورفعهُ في الهواءِ، ثم ضحكَ ضحكةَ استهزاءٍ بحماسِ ليون وغضبهِ، ثم قال: «لا تقلقْ؛ لن تتخلفَ عن والدكَ طويلًا»، ثم طرحهُ أرضًا بقوةٍ فراحَ الحماسُ في الألمِ، ثم جذبهُ مِن شعرهِ ورفعهُ ثانيةً، هذه المرةَ في مواجهةِ الحشدِ. وبدأ يتكلمُ:

- «أيها الجنود، أبناء ديمنتيا المخلصين، يجبُ أن تفرحوا، لا، أن تهللوا بأعلى أصواتكم؛ فأنتم اليومَ تشهدون التاريخَ. لا يصمدُ عدوٌّ أمامَ الإمبراطوريةِ، وأمامكم الدليلُ -رأسَ ملكِ ألسندا (الصالح)، الذي قررَ معاداةَ الإمبراطورِ جلالته-. والآن، ابنهُ -الأمير المهزومِ، الأمير الهَلِع، سمُّوهُ كما تشائون- احتمى بأسوارِ عاصمتهِ الخائبةِ، وسقطَ كما سقطتْ! شاهدوا بأعينكم قوةَ الإمبراطوريةِ، وحدِّثوا بها كلَّ مَن يجهلها!».

- «يعيشُ الإمبراطور!».

- «تحيا ديمنتيا والحلفُ الخماسيُّ!».

- «الموتُ للعدوِّ!».

أســكتَ قاســم الصــيحاتِ بإشــارةٍ مِن يدهِ، ثم رمى ليون على الأرضِ، ودهسَ بقدمهِ على وجههِ، وصاحَ: «الإمبراطوريةُ ستكسرُ جميعَ الأعداءِ تحتَ أقدامها!».

وتعالت الصيحاتُ مرةً أخرى بينما عادَ قاسم إلى كرسيٍّ خشبيٍّ يبعدُ عدةَ أمتارٍ عن منصةِ الإعدامِ، ليشاهدَ منهُ ما يحدثُ.

- «لمْ تلمحْ عيوننا الاســتطلاعية أي أعداءٍ في المنطقةِ، وما زلتَ مُصِرًّا على المضيّ بالإعدامِ».

نظرَ قاســم نظرةَ توبيخ إلى قائدِ الحصــنِ، وقال بحزمٍ: «أنا أحافظُ على كلمتي، ولا التزام لي تجاهكَ، فالزمْ حدودكَ».

صــمتَ قائدُ الحصــنِ، والتفتَ إلى منصــةِ الإعدامِ ليرى الأميرَ الشابَّ يتقدَّمُ إلى منتصفها.

تقدَّم ليون أعلى الدرجاتِ إلى المنصــةِ، وتوجهَ إلى منتصــفها والغضــبُ يملأ وجههُ، ولا يحجبهُ إلا شــعرهُ الذي عادَ ليغطي شــراراتِ عينيهِ. وتسارعتْ أفكارهُ:

- «هذه الدنيا ظالمةٌ؛ مِثْلُ هذا الرجلِ الحقيرِ استطاعَ سلبَ كل شيءٍ مني، والآن يدهسُ على كرامتي، ولا يمكنني الردُّ... لا، ليست الدنيا، بل هؤلاء -هؤلاء الذين يصفقون ويصيحون مساندةً لهذا الظلمِ دون تفكيرٍ-. ولكن في وجهِ هذا الظلمِ، ماذا أريدُ (أنا) أن أفعل؟ ما الذي أقدرُ على فعلهِ؟ على الأقلّ لا أريدُ الموتَ بهذا الندمِ...».

نزلَ ليون إلى ركبتيهِ، ودفعَ الجنديُّ رأسهُ حتى تستقرَّ على جانبها الأيمن على منضدةٍ حديديةٍ صغيرةٍ، وظهرتْ رقبتهُ التي قد تُقطعُ في أي لحظةٍ. ومِن بعد، رأى ليون أحدَ الجنودِ يُحضرُ دلوًا خشبيًّا ستسقطُ بهِ رأسهُ فورَ انتهاءِ العرضِ. وأخيرًا، رأى منفِّذَ العقوبةِ يقتربُ مِن بعيد، مرتديًا جلبابًا طويلًا أسود وغطاءَ رأسٍ ووجهٍ ليخفي هويتهُ، وبيدهِ كانت فأسٌ حديديةٌ عملاقةٌ، سنُّها ملطخٌ بدماءِ مَن خطفت أرواحهم.

أغلقَ ليون عينيهِ، وبدأ يرددُ: *«لن أموتَ هنا، لن أستسلمَ! حتى وإن أرادني العالمُ بأسرهِ أن أموتَ، سأحيا!»*.

ارتفعت الفأسُ عاليًا، وبدأت تهوي إلى الأسفلِ.

الأميرُ، بين الحياةِ والموتِ

ارتفعت الفأسُ عاليًا، وهوَتْ بسرعةٍ لتفصِلَ رأسًا عن جسدها؛ فبدأ الحشـدُ يَضِـجُّ ويتسـاءلُ في دهشـةٍ، وقامَ قائدُ الحصـنِ وقاسـم الجراح.

وصاحَ الأخيرُ: «ما معنى هذا؟!».

وقبل أن يحصـلَ على أيّ إجابةٍ، سـقطتْ رأسُ وجسـدُ الجنديّ الذي قادَ ليون إلى المنصـةِ، بينما التفتَ منفّذُ الحكمِ إلى الحشـدِ وألقى بخمسِ كراتٍ سـوداء صـغيرةٍ. وفي لحظةٍ، ازدادت الفوضـى مع خروجِ سحابةٍ مِن الدخانِ مِن الكراتِ الصغيرةِ.

- «هيَّا! اتبعني!».

جاءَ صـوتُ فتاةٍ مِن خلفِ قناعِ منفّذِ الحكمِ، وعادَ ليون إلى قدميهِ بعد أن فكَّت قيدهُ، وباسـتعادةِ ليون لحريتهِ واتزانهِ، وبتخلصِ الفتاةِ مِن الجلبابِ المعيقِ في الحركةِ، أخذا يركضان ناحيةَ برجِ الحصنِ القريبِ.

لقد أنقذتْ منفّذةُ الحكمِ ليون...

أما في الناحيةِ الأخرى مِن سـحابةِ الدخانِ، اسـتشـاطَ قاسـم الجراح غضـبًا، محمّلًا قائدَ الحصـنِ مسـئوليةَ كلّ ما كان يحدثُ، ثم حملَ سـيفهُ العريضَ الضـخمَ عاليًا حتى يلتفتَ إليهِ جميعُ الجنودِ وتنتهي الفوضـى، وصـاحَ بهم: «ما الذي تنتظرونهُ؟ وراءهم!»، ثم التفتَ إلى قائدِ الحصنِ وصاحَ بهِ: «لن تفشلَ مهمةٌ وأنا على قيدِ الحياةِ!».

وانطلقَ عدةُ جنودٍ ليعبروا سـحابةَ الدخانِ ويلاحقوا الهدفين، ولكن صرخاتهم سرعانَ ما سُمِعَتْ، وسقطتْ أشباحهم إلى الأرضِ بعد أن كانتْ تركضُ مفعمةً بالحياةِ. ولمْ تنتهِ الفوضى بعد؛ ففي اللحظةِ التاليةِ بدأ جنودٌ آخرون في التساقطِ مِن وسطِ الحشدِ، فتنبهَ قاسم إلى ما كانَ يحدثُ؛ فرفعَ سيفهُ عاليًا وقطعَ سهمًا كانَ قد سُددَ تجاههُ، وصاحَ مخاطبًا القائدَ: «لديهم قنَّاص! أليس الرماةُ في مواقعهم؟!».

ولكن قائدَ الحصنِ لمْ يستطعْ أن يجيبَ؛ على كرسيهِ ظلَّ جامدًا بسهمٍ يخترقُ رأسهُ.

صاحَ قاسم بالرجالِ: «تحركوا! لن يحدثَ خيرٌ لكم إن قصَّرتم! اقتلوهما!».

ثم جذبَ أحدَ الجنودِ واستخدمهُ كدرعٍ بشريٍّ إلى أن وصلَ إلى مكانٍ غير مكشوفٍ -مكانًا آمنًا مِن قنَّاصِ الأعداءِ-، وحينها جاءهُ رجلٌ مِن الجنودِ يلهثُ ويقولُ: «حددنا... مصدرَ السهامِ يا سيدي...».

- «قل ما عندك!».

- «الأمرُ أنَّ...».

-«هيَّا!».

- «المشكلةُ... السهامُ تُطلقُ مِن بعيدٍ جدًا... حتى أني أجدهُ مستحيلًا رغم رؤيتي لهُ بعيني... إنها تُطلقُ مِن ناحيةِ الجبلِ».

ألقى قاسم نظرةً حذرةً على الجبلِ الذي بُني الحصنُ عند سَفْحِهِ، وتيقَّنَ مِن أمرٍ لمْ يَسُرهُ بالمرةِ، فتمتم ببطءٍ: «مِن هذا المدى... سلاحٌ جِيمَاتَيْتِي... لقد تعقدت الأمورُ».

- «إلى أين تقودينني؟».

- «لا وقتَ للكلامِ! فقط اتبعني!».

دخلت الفتاةُ ذات القناعِ الأسـودِ إلى برجِ الحصـنِ وتبعها ليون وقد اختفى الخوفُ والقلقُ مِن عينيهِ، لقد أحسَّ بالحياةِ ثانيةً عندما ركضَ بكلِّ ما أوتي مِن قوةٍ، وها هو الآن على قيدِ الحياةِ كما أخبرهُ العجوزُ بالزنزانةِ، يركضُ كَمَن يلاحقُ هدفًا ولا علمَ لهُ ما هو هذا الهدفُ.

مِن داخلِ البرجِ، أخذت الفتاةُ طريقًا ممتدًا إلى أقدمِ المباني بالحصـنِ، مبنى كانت بهِ غرفةُ القيادةِ قديمًا وصار الآن مجرَّد إسكانٍ لبعضِ الجنودِ.

- «ثقْ بي، ستخرجُ مِن هنا حالًا!».

تحدثت الفتاةُ بثقةٍ وبهجةٍ، كأنما لمْ يطاردها أحدٌ، بل وسمعَ ليون صوتًا هُيأ إليهِ أنهُ صوتُ ضحكها. وبانتهاءِ كلماتها تلك، وصلَ ليون معها إلى غرفةٍ صغيرةٍ كانَ بها جنديان يحتسيان المشروباتِ، فوقفَ أحدُ الجنديان ورفعَ سيفهُ، وتبعهُ الآخرُ صائحًا: «ما هذا؟!».

ودونَ إجابةٍ، اندفعت الفتاةُ تجاهَ أولهما فغرزت في بطنهِ خنجرًا صغيرًا، فسقطَ إلى الأرضِ فورًا. وتنبَّهَ صاحبهُ فحاولَ أن يكونَ المبادرَ بالهجومِ، ولكن ضربتهُ لمْ يعترضها إلا خشبُ الطاولةِ أمامهُ، وسَلِمَت الفتاةُ لتسدّدَ ثاني طعنةٍ قاتلةٍ، وليون يشاهدُ في دهشةٍ.

وبعد أدائها السريعِ لما وجبَ، التفتت الفتاةُ إلى ليون الذي عجزَ عن التعبيرِ عما رأى، وقالت: «خذ السيفين؛ قد نحتاجهما».

أومأ ليون، وانتزعَ السيفين مِن الجثتين، ثم انطلقَ الاثنان ثانيةً هذه المرة في رواقٍ مختلفٍ، وأصواتُ المطاردين تقتربُ قليلًا قليلًا.

انفتحَ بابٌ أمامَ الفتاةِ فركلتهُ ليغلقَ ثانيةً ويدفعَ مَن فتحهُ مِن الجنودِ للسقوطِ إلى الخلفِ، وقالت: «مِن هنا! اقتربنا!».

انفتحَ البابُ ثانيةً وخرجَ أحدُ الجنودِ، فالتفتَ ليون لحظةً، وأرسلَ أحد سيفيهِ طائرًا ليصيبَ الجنديَّ في قدمهِ كأنما أصابهُ رمحٌ، وسقط الأخيرُ يتألمُ.

ضحكت الفتاةُ وقالت: «لا بأسَ بالرميةِ!».

فقال ليون: «أرجو ألا تكونَ جهتنا أبعدَ مِن هذا».

صاحت الفتاةُ: «وصلنا!».

نزلَ الاثنان سلالم خشبية وفتحا بابًا إلى مخزنٍ صغيرٍ، فدخلا بسرعةٍ وأغلقا البابَ. وفي الحالِ، توجهت الفتاةُ إلى ركنٍ مِن أركانِ الغرفةِ، فأزالت القناعَ عن رأسها لتكشفَ عن شعرٍ بنيٍّ لا يتجاوزُ في طولهِ كتفيها، وأخذت تتحرى المكانَ قبل أن تقولَ: «ها هو هنا، أسرعْ. ساعدني في إزالةِ هذا الصندوقِ».

دفعَ ليون الصندوقَ الذي أشارت إليهِ، فظهرَ سلمٌ حجريٌّ يتجهُ إلى تحت الأرضِ.

أضاءت الفتاةُ مشعلًا صغيرًا، ونزلت السلمَ وهي تقولُ: «انتظر هنا لحظةً واحدةً فقط».

لمْ يدرِ ليون ما عليهِ فعلهُ، فحتى إن طلبت منهُ أن ينتظرَ، لا يمكنهُ أن يقفَ ساكتًا وخطواتُ الجنودِ تقتربُ كلَّ لحظةٍ.

- «ربما كان يجبُ أن أقتلَ ذلك الجنديَّ بدلًا مِن أن أصيبهُ فحسب... هل أرشدَ إلينا الباقين؟ عليَّ فعلُ شيءٍ!».

لمْ يكنْ هناكَ وقتٌ للندمِ.

سألَ ليون: «كم باقٍ مِن الوقتِ؟».

-«دقيقةٌ!».

كانت الدقيقةُ وقتًا كافيًا ليصلَ الجنودُ وقليلًا جدًا إن أرادَ فعلَ شيءٍ للتصدي لهم؛ لمْ يكنْ بالغرفةِ ما يساعدهُ، فكلُّ ما كانَ بالصناديقِ كان طعامًا -تفاحًا وخبزًا- وشرابًا -ماءً وخمرًا، هرَّبهُ الجنودُ لمُتعتهم الخاصةِ-. ثم نظرَ ثانيةً إلى آخِر ما رأى، فوجدَ زجاجاتٍ عدة مِن الخمرِ، وفي الحالِ قلبَ متعةَ الجنودِ إلى سلاح يفيقهم، فبدأ يكسِّرُ الزجاجاتِ على الأرضيةِ بالقربِ مِن البابِ الخشبيّ، ثم أسرعَ ليلتقطَ أحدَ الشعلاتِ المثبتةِ بالحائطِ بينما انفتحَ البابُ.

- «هيَّا! تعالَ!».

رمى ليون الشعلةَ على الأرضِ فبدأت تحترقُ مِن بدايةِ السلَّمِ الذي يقودُ إلى تحت الأرضِ حتى بابِ المخزنِ، وتراجعَ الجنودُ ليقوا أنفسهم مِن النيرانِ المنتشرةِ بسرعةٍ كبيرةٍ.

قفزَ ليون سلمتين، ثم أكمل الأخرياتِ ركضًا وراء الفتاةِ.

- «كنتُ أفضلُ ألا تشعِلَ نارًا!».

- «ما الأمرُ؟».

- «لا شيء! فقط اركض!!».

دخلت الفتاةُ وراءَ ساترٍ صخريٍّ على بُعدِ عدةِ أمتارٍ مِن المدخلِ، فدخلَ ليون وراءها. وقفت وظهرها إلى الصخرِ، وقالت: «سدَّ أذنيكَ! سينفجرُ المدخلُ!».

نزلت إلى الأرضِ وسدَّت أذنيها، وقلَّدها ليون في الحالِ، ثم جاءَ صوتُ انفجارٍ وهزَّةٌ قصيرةٌ، واختفى كلُّ الضوءِ القادمِ مِن المخزنِ... لقد رُدِمَ المدخلُ بالكاملِ.

- «أرأيتَ ذاكَ الانفجارَ؟ لا يستطيعُ أيُّ أحدٍ فعلهُ بسهولةٍ. انفجرَ المدخلُ وظلَّت هذه الحيطان القديمةُ قائمةً. بلا عبقريتي لانهارَ كلُّ هذا الكهفِ!».

وقفَ ليون ثانيةً بعدَ عودةِ الهدوءِ إلى الكهفِ المظلمِ، واستمعَ إلى كلماتِ الفتاةِ المتفاخرةِ بعبقريتها، ثم سألها: «أيمكنكِ إضاءةُ المشعل؟».

- «أا! لقد أوقعتهُ».

- «حسنًا، نحتاجُ ضوءًا، أيُّ شيءٍ سَيَفِي بالغرضِ».

- «مم... حاليًا لا أحملُ إلا المتفجراتِ».

- «أنا آسف أني طلبتُ».

- «انتظر! انتظر! إن أكملنا المشيَ بهذا الممرِ سنصلُ إلى مخزنٍ تحت الأرضِ، وهناكَ سنجدُ ما يمكنُ إشعالهُ؛ لا تقلقْ؛ القفازاتُ التي ألبسها مصصمةٌ لتُشعِلَ أيَّ شيءٍ».

-«القفازاتُ؟».

- «أجل. هيَّا، مِن هنا».

أخذَ ليون نفسًـــا عميقًا، وتبِعَ الفتاةَ في الظلامِ، متحريًّا موضِـعَ كلِّ قدمٍ قبل أن يخطو، ومستندًا إلى إحدى حوائطِ الكهفِ.

وبعدَ أن تقدما قليلًا في الممرِ، بدأ ما في عقلِ ليون يخرجُ على لسانهِ فقالَ: «إذن... مَن أنتِ؟».

- «أنا؟ أنتَ الأميرُ، أليسَ كذلك؟ هذا يجعلني منقذةَ الأميرِ! مجدٌ آخرُ يضافُ إلى سجِلي الناصِعِ!».

- «لمْ أقصدْ...».

- «إذن اسمي؟ دنيا، والبعض يدعونني دُنْدُنْ، استعمل أيهما إن شئتَ».

توقفَ ليون، فالتفتت إليهِ دنيا لتراهُ بعينيها اللتين تعودتا على الظلامِ، وقالت: «ما فائدةُ هذا الفضولِ الآن؟».

ردَّ ليون: «الســببُ؛ قد لا يكونُ هدفكِ قتلي، ولكنكِ لا تبدين كشخصيةٍ أريدُ التورطَ أو يفيدُني التورط معها في شيءٍ».

- «هذا يُدعى نكرانَ الجميلِ».

- «يُدعى الحذرَ الطبيعيَّ».

تنهدت دنيا وقالت: «حسـنًا، حسـنًا، سـأخبركَ قليلًا فقط... مع أني أردتها أن تكون مفاجأةً... ســأعطيكَ عدةَ خيوطٍ وأنتَ حلَّ اللغزَ: واحد، قام بالاســتعانةِ بي وبزميلاتي لننقذكَ، اثنان، هو أحدُ أبناءِ ألســندا، ثلاثة، يبدأ اســمهُ بحرفِ الســين، فمَن هو؟ لغزي صــعبٌ، بالطبعِ يمكنكَ إن صبرتَ ألا تحتاجَ لحلهِ».

لم تتنفسْ إلا وجاءَ ردُّ ليون: «سامح ياسين».

صاحت الفتاةُ: «يا للسرعة! هل لغزي سهلٌ لهذهِ الدرجةِ؟».

- «لا، أنتِ فقط أعطيتني الكثيرَ مِن الخيوطِ: سامح أحدُ أبناءِ ألسندا وحاكمُ إقليمِ إرْكَلَّا، كما أنهُ معنيٌّ بأمرِ العائلةِ الملكيةِ... حزرتُ وأصبتُ».

- «تريدُ لقاءَهُ، أليسَ كذلك؟».

-«أجل».

- «إذن هيَّا حتى لا يعثُرَ الجنودُ على طريقٍ لهذه الممراتِ. أظنُّ أني أرى المخزنَ تحتَ الأرضيّ، هيَّا، لنعثرَ على مصدرِ ضوءٍ».

خطا ليون ودنيا إلى أن صارت الممراتُ الضيقةُ غرفةً واسعةً ظنَّ أنها المخزنَ. كانت غرفةً في حالٍ يُرثى لها، ولكن عدة صناديق خشبية وأشياء مختلفةً كانت مبعثرةً في أرجائها.

حملَ خوذةً كانت على الأرضِ ليتفقدها، ثم رماها في إحدى الصناديقِ، وسألَ: «ما هذا المكانُ؟».

بدأت دنيا تفتشُ وسطَ الأشياءِ المبعثرةِ عن شيءٍ ليضيء الطريقَ أمامهما، وأجابتهُ: «كلُّ حصنٍ قديمٍ لديهِ شبكةٌ مِن الأنفاقِ التي تصلهُ بمثلِ هذه المخازنِ؛ كانت جزءًا مِن استراتيجيةِ جنودِ ديمنتيا منذ عشرة أعوام عندما بدأت الإمبراطوريةُ في التوسعِ، ولكن مع الوقتِ صارت الأنفاقُ عيبًا في الحصونِ؛ يمكنُ الوصولُ إليها بالحفرِ خارجَ الحصنِ، فلمْ تعُدْ تُسْتخدم. بعضها رُدِمَ، وبعضها كما ترى ما زالَ موجودًا».

- «تعرفين الكثيرَ عنها».

ضـحكت وقالت: «هذا أقلُ ما تتوقعهُ مِن عبقريةٍ مثلي!»، ثم عثرت على ما بحثت عنهُ، فحملت قطعةَ خشـبٍ تُشـبِهُ العصـا ولكنها أقصـرُ قليلًا، ومزَّقت جزءًا مِن قماشٍ قديمٍ فلفتهُ حولَ نهايتها، ثم حملتها إلى ليون، وقالت لهُ: «أمسكها لحظةً».

أمسـكَ ليون بالخشـبةِ، وشـاهدَ دنيا وهي تُخرجُ زجاجةً حَوَت سـائلًا ما. رشَّـت السـائِلَ، ثم سـألتهُ الثباتَ لحظةً ومدَّت يديها قُربَ الخشبةِ، وحكَّت قفازيها ببعضٍ فصنعا شرارةً أشعلت نارًا بالقماشِ.

- «وهكذا تصنعُ مصباحًا حين تحتاجُ واحدًا! هيَّا بنا».

أخذت دنيا المصباحَ وتقدَّمت تجاهَ ممرٍ ضيقٍ آخر، وتبعها ليون في صمتٍ.

- «لا تقلق؛ الآن يمكنني قراءة الخريطةِ بوضـوح...مم، مِن هنا. سنرى ضوءَ النهارِ في أيّ لحظةٍ».

لمْ يطُلْ سَيْرُ الاثنين حتى وصلا إلى حيث ظهرَ ضوءُ النهارِ، ثاقبًا الصـخرَ عند ما هُيّأ لليون أنهُ المخرجُ الذي تحدثت مرافقتهُ عنهُ، ولكن صـوتًا غريبًا وصـلَ إلى أذني ليون: لمْ يكنْ صـوتًا مِن جهتهِ أو الجهةِ التي أتى منها، ولكنهُ كان مِن الناحيةِ الأخرى التي تلت الفتحةَ، كما أنهُ كان صـوتًا مُزعجًا، سـمعهُ مِن قبل عندما خرجَ مع أصـدقاءهِ للصـيدِ بجبالِ ألسندا الجنوبيةِ -حيثُ يهطلُ مِثلُ الثلجِ الذي يهطلُ هنا-.

-«انتظري».

استلَّ ليون سيفهُ ووقفَ لحظةً، فتوقفت دنيا متسائلةً عن الخطبِ.

همسَ ليون: «ارجعي إلى الوراءِ ببطءٍ؛ هناك قطٌّ بريٌّ».

- «أحبُّ القطط!».

- «أنا لا أمزحُ؛ تلك الحيواناتُ تقتلُ ما هو أكبرُ منها حجمًا، فما بالكِ بالإنسانِ؟».

أخرجت دنيا خنجرها، وقالت: «لمْ يحسَّ بنا بعد، أليسَ كذلك؟».

- «لا أعلمُ... لا أستطيعُ تحديدَ المسافةِ بيننا وبينهُ بالضبطِ».

- «سأهتمُّ بهِ».

- «غبية! الخنجرُ لن ينفعَ أمامهُ».

-«سأُريكَ».

تقدمت دنيا بحذرٍ ناحيةَ المخرجِ، وبيدها ظلَّ الخنجرُ جاهزًا لأيِّ طارئٍ.

- «عودي إلى هنا!».

-«شش!».

أسكتت دنيا ليون، ولكن بصمتهِ لمْ يشعرْ إلا بالصوتِ الخافتِ الذي يُحْدثهُ الحيوانُ وهو يرتفعُ.

أخذت دنيا خطوتين، ولكنها سمعت خطواتٍ سريعة، فتوقفت ورفعت خنجرها. وفجأةً، رأت شيئًا كبيرًا يقفزُ أمامَ ضوءِ المخرجِ ليهبطَ

بهِ، ثم يقفزُ قفزةً واحدةً أخرى ليصبحَ فوقها مباشرةً. لمْ يكن الخنجرُ ليفيدها أمام الشيءِ؛ علمت أنها مِن هذه الزاويةِ لن تستطيعَ تسديدَ ضربةٍ مميتةٍ؛ فكان عليها أن تتحركَ بسرعةٍ، ولكن إلى أين؟

قررت: *«عندما ينقضُّ، سأتدحرجُ تحتهُ وأسددُ ضربةً إلى ظهرهِ»*.

أخذت قرارها في ثانيةِ قفزِ الوحشِ تجاهها. كان أطولَ مِن الإنسانِ وهو بالهواءِ، وكان شعرٌ غزيرٌ أبيض يغطي جسدهُ كاملًا، إلا بعضَ الأجزاءِ كالوجهِ.

-«الآن!».

أعطت دنيا الإشارةَ لنفسها، وأخذت خطوةً إلى الأمامِ، ثم انبطحت حتى يمُرَّ الوحشُ فوقها، ولكن الحيوانَ لمْ يكنْ بالارتفاعِ الذي يسمحُ لها بالحركةِ التي تخيلتها.

سقطت دنيا على الأرضِ على جانبها الأيمنِ، وثُبِّتَ الوحشُ في حائطِ الممرِ الأيسرِ ميّتًا.

أزالَ ليون سيفهُ مِن صدرِ الوحشِ، فسقطت جثتهُ إلى الأرضِ.

سارعت دنيا بالوقوفِ وصاحت: «لماذا تدخلتَ؟!».

- «الاستهتارُ أمامَ هذه المخلوقاتِ يقتلُ صاحبهُ فقط».

غَمَدَ ليون سيفهُ وسارَ إلى المخرجِ.

نظرت دنيا إلى جثةِ الحيوانِ، وانتفخَ خداها إعرابًا عن استيائها، ثم ركلت رأسَ المخلوقِ وتبعت ليون إلى الخارجِ.

خرجَ الاثنان إلى منحدرٍ ممتدٍ بين الجبلِ وغابةٍ ليست بالبعيدةِ، وكان مَخرجُ الممراتِ تحت الأرضيةِ عبارة عن تجويفٍ في الصخرِ الجبليّ.

توقفَ ليون عندَ جثثِ ثلاثة أحصـنة، وقال: «لقد التهمهم قبل أن يدخلَ باحثًا عن المزيدِ. هذه الحيواناتُ قد تنتظرُ مثلَ هذه الوليمةِ لأسابيع... لذلك تكونُ أكثرَ خطورةً في هذا الوقتِ مِن العامِ».

ظهرت آثارُ أنيابِ القطِّ البريّ في اللحمِ المتبقي مِن الوليمةِ.

تنهدت دنيا وقالت: «هذه أخبارٌ سـيئةٌ... سـنضـطرُّ إلى اتباعِ الخطةِ البديلةِ بفقدانِ الأحصنةِ».

- «وهي؟».

- «سـننتظرُ زميلتي ثم سـنتجهُ معًا إلى قريةٍ مجاورةٍ، سـنبقى هناك إلى أن تهدأ الأمورُ في المنطقةِ... ما مِن مشـكلةٍ! فذلك سـيسـرّعُ مِن لقائكَ بالسيدِ سامح؛ فهو بتلك القريةِ الآن».

أنصتَ ليون لكلامها باهتمامٍ، ثم قال: «هناكَ صوتٌ ما...».

قبل أن يُنهي كلامهُ، قفزَ شيءٌ سريعًا مِن فوقِ الصخورِ العاليةِ، فقفزت دنيا في ذات اللحظةِ متذكرةً صـورةَ القطِّ البريّ الذي هاجمها، واستقرت في يدي ليون الذي أمسكها قبل أن تقعَ.

ضحكت دنيا بصوتٍ عالٍ، وقالت: «ما هذا؟ إنها مجرَّد نورة! آه، لقد أفزعْتِني!».

قال ليون: «هلا ابتعدتِ إن سمحتِ».

نظرت دنيا فوجدت وجهَ ليون في وجهها، فاحمرَّ وجهها سـريعًا وأخذت خطوةً إلى الوراءِ مباشرةً.

- «معذرةً على تأخري».

تحدثت زميلةُ دنيا -نورة-. كان شـــعرُها الأحمرُ الطويلُ والقوسُ الأســـودُ على ظهرها أكثرَ ما يميزها، أما ملابســـها فكانت مخفيةً تحت عباءةٍ بيضـــاء تســـاعدها على الاندماجِ مع الثلجِ المحيطِ. رأت الأحصـــنةَ فلمْ تســـألْ عن الأســـبابِ، ولكن اتجهت إلى الحقائبِ الملقاةِ على الأرضِ، فأخذت حقيبتها وأخرجت عباءتين مِن الأخرى.

- «ارتدِ هذه».

أعطت نورة عباءةً رماديةً لليون فارتداها فوق ملابسهِ، وأعطت أخرى لدنيا فارتدتها، ثم نظرت إلى دنيا لحظةً وقالت: «ما الذي كنتما تفعلانهِ بالضبطِ؟».

احمرَّ وجهُ دنيا بسرعةٍ وقالت: «لا شيء!».

حملت نورة حقيبتها وقالت: «إن كنتِ ســتتركين الحقائبَ، فهيَّا! وأنتَ أيضًا، سيدي الأمير؛ لا يجبُ أن تلمحنا عيون الأعداءِ ونحن نتجهُ إلى الغابةِ».

- «نورة تكونُ مخيفةً وقتَ المهماتِ...».

بكلماتِ دنيا الأخيرةِ تلك، بدأ الجميع الســـيرَ ليعبروا المنحدرَ المغطَّى بالثلجِ، يمروا بجزءٍ مِن الغابةِ، ويخرجوا إلى قريةٍ توجدُ في ملتقى الغابةِ مع السهلِ العظيمِ.

- «تمَّ إرسالُ الجنودِ الاستطلاعيين يا سيدي».

-«حسنًا».

وقفَ قاسم الجراح أمامَ خريطةٍ للمنطقةِ، بينما بلَّغهُ نائبُ قائدِ الحصنِ بالمستجداتِ.

سألَ قاسم: «هل انتهى الدفنُ؟».

- «أجل، سيدي!».

- «والحريقُ؟».

- «سُيْطِرَ عليهِ والحمدُ لله».

- «إذن هكذا يهدأ رجالكَ التافهون، أليس كذلك؟».

أومأ نائبُ القائدِ خائفًا، كسابقهِ في المركزِ.

- «إذن جهّز أفضلَ عشرين رجلًا عندك».

- «أيمكنني أن أعرفَ السببَ، سيدي؟».

رفعَ قاسم عينيهِ عن الخريطةِ وقالَ: «للعودةِ برأسِ ليون طبعًا».

- «ولكن اسمحْ لي يا سيدي، متخذين في الاعتبارِ القتلى والجرحى، والجنودَ الذين أرسلناهم... إن تركَ عشرون رجلًا الحصنَ...».

تركَ قاسم الخريطةَ ومرَّ بالطاولةِ الخشبيةِ التي كانت عليها.

- «مهما حدثَ، نحن في حالةِ حربٍ... قد يظهرُ عدوٌّ في أيِّ لحظةٍ...».

وقفَ قاسم مباشرةً أمام النائبِ، وسألَ بابتسامةٍ ساخرةٍ: «ما الذي سيحدثُ؟».

- «سيبقى قليلون... وأمنُ الحصنِ—».

- «اعذرني، (أمسكَ قاسم بالنائبِ مِن رقبتهِ) العودةُ برقبتكَ لن تفيدني، ولن تحققَ المهمةَ، فإما أن تجهّزَ أفضلَ عشرين رجلًا عندك، أو أن أعود للعاصمةِ بعشرين رأسًا مِثْلَ رأسِكَ».

تراجعَ النائبُ بعد أن تركَ قاسم رقبتهُ، ولكنهُ لمْ يخفْ، وإنما سألَ: «وإلى أين أبلغهم أن يتجهوا؟».

رجعَ قاسم إلى الخريطةِ، وقال: «سأقودهم بنفسي. للآن أنتظرُ عودةَ المستطلعين، ولكن إن تطلبَ الأمرُ سنمشّطُ جميعَ القرى بالمنطقةِ... البعيدةَ والقريبةَ... إن لمْ يتجهوا إلى الحدودِ مباشرةً فسيكونوا بإحداها».

عادَ قاسم لينظرَ في الخريطةِ، ولكن ذهنهُ شُغِلَ عنها بأفكارٍ كثيرةٍ أخرى:

- «قد أكونُ أسألُ المستحيلَ؛ في مثلِ هذا الوقتِ قد يكونوا قد عبروا الحدودَ، وإن فعلوا فمِن أين سآتي بهم؟ لا، حتى الآن، تحديدُ موقعهم شبيهٌ بالمستحيلِ، ولكني لا أملكُ أن أبلّغَ الإمبراطورَ بأني فشلتُ في مثلِ هذه المهمةِ... حتى مع إنجازاتي في الحربِ، قد لا يغفرُ لي هذا الخطأ».

ثارت أعصابُ قاسم فضربَ بقبضتهِ على الطاولةِ بشدةٍ، ثم أطلقَ نفسًا طويلًا مِن فمهِ، وعادَ يتحرى أماكنَ تصلحُ كبداياتِ بحثٍ، مُقْسِمًا لنفسهِ أن يعودَ إلى العاصمةِ برأسِ الأميرِ المهزومِ، كما خطَّطَ بالضبطِ.

الأميرُ، يختارُ المستقبلَ

تجاوزت نورة عدةَ شجيراتٍ، ثم نظرت إلى الاثنين الذين تبعاها، وقالت: «لقد وصلنا».

تثاءبت دنيا وصاحت: «أخيرًا!».

وسارعت بالذهابِ لحيث وقفت نورة؛ حتى تلقي النظرةَ الأولى على قريةِ مشَّى -إحدى قرى ديمنتيا القريبة مِن الحدودِ-. أما ليون، فسارَ بوتيرتهِ المعتادةِ، وشردَ ذهنهُ بأفكارٍ عدةٍ سمحَ الطريقُ وهدوءهُ بأن تعودَ إليهِ.

- «سيدي الأمير... سيدي الأمير...».

أخذت نورة تكررُ النداءَ عدةَ مراتٍ حتى أجابَ ليون، وحينها قالت: «لقد وصلنا إلى قريةِ مَشَّى يا سيدي. السيدُ سامح ينتظرُ بإحدى البيوتِ هنا؛ فلا مجالَ ألا نَمُرَّ بطرقِ القريةِ؛ لذلك، أرجو أن تضعَ غطاءَ الرأسِ وتجذبَ أقلَّ كميةٍ ممكنةٍ مِن الانتباهِ إلينا. اتّباعي بخطى سريعةٍ يكفي».

أومأ ليون ووضعَ غطاءَ الرأسِ المُرْفَقِ بالعباءةِ، وخرجَ مِن وسطِ الأشجارِ يلحقُ الفتاتين. ومع تراجعِ الأغصانِ، ظهرَ سورٌ خشبيٌّ امتدَّ مِن أقصى اليمينِ إلى أقصى اليسارِ؛ فكسائرِ القرى على الحدودِ، كانت قريةُ مشَّى محميةً بسورٍ بسيطٍ لكن عالٍ. وأكملَ ليون الطريقَ وراءَ الفتاتين، حتى وصلَ إلى بوابةِ القريةِ، فوجدها غيرَ مراقبةٍ رغمَ حالةِ الحربِ، ومرَّ

بها ليصـــلَ إلى قلبِ القريةِ التي بدت مفعمةً بالحياةِ، معزولةً عما يحدثُ بالعالمِ بأسرهِ.

وراءَ الســورِ الخشــبيّ ظهرت عدةُ بيوتٍ رســمت شــكلَ القريةِ، كانت مِن الخشبِ كاملةً، بعضها لا يطلقُ عليهِ إلا كوخًا وضيعًا، وبعضها في جمالِ القصورِ بما نُحِتَ على خشبها. أما الطرقُ فكانت ترابيةً وضيقةً، ولمْ تسمحْ بمرورِ العرباتِ، فيما عدا الطريقِ الرئيسيّ.

وســارَ ليون ينظرُ لحظةً إلى ما حولهُ، وأخرى إلى نورة التي قادتهُ لحيث سيلقى سامح ياسين.

- «ما بكَ؟».

بعد أن شــردَ لحظةً، وجدَ ليون دنيا بجانبهِ تســألُ ســؤالها، فأجابَ: «أُفكِّرُ».

- «هذا نادرٌ».

ضحكَ ليون وسأل: «التفكيرُ؟».

- «لا، عادةً ما يجيبُ كلُّ مَن أســألهُ (ما بكَ؟) قائلًا (لا شــيء)؛ لذلك تفاجأتُ. في ماذا تفكِّرُ؟ هل هو أثرُ السجنِ؟ دائمًا ما أقولُ: (ألف سنة مِن الحربِ خيرٌ مِن سنةٍ واحدةٍ في السجنِ)».

-«لا».

- «إذن تفكِّرُ فيما ستفعلهُ مِن الآن؟».

مرَّ ليون بعدةِ أطفالٍ يلعبون بكرةٍ صغيرةٍ، فنظرَ إليهم وابتسمَ قليلًا قبل أن يجيبَ: «يفكِّرُ في المستقبلِ مَن يستطيعُ المضيَّ إلى الأمامِ،

أما أنا فأحِسُّ كأنما ما زلتُ في ذلك اليومِ، واقفًا في أكبرِ حجراتِ القصرِ، لا أعلمُ ما سيحدثُ لي أو لأختي...».

أومأت دنيا عدةَ مراتٍ كأنما تشـيرُ إليهِ بأنها تتفهمُ، ثم قالت: «شخَّصتُ مرضكَ».

-«مرضي؟».

- «أجل، إنهُ ذلكَ المرضُ الذي يهاجمُ عقلَ الإنسانِ قبلَ أن يبدأ العملَ تجاهَ تحقيقِ شيءٍ مُذهلٍ».

ضحكَ ليون ضحكةً قصيرةً ولكن مِن قلبهِ، وقالَ: «أتمنى ذلكَ».

رفعت دنيا يدها إلى صـدرها وقالت بثقةٍ: «اسـألْ عبقريةً ولا تسألْ طبيبًا!».

طرقت نورة بابَ أحدِ البيوتِ، ففُتِحَ، وخرجت فتاةٌ صغيرةٌ ذات شعرٍ أشقر وعينين زرقاوتين، مرتديةً فستانًا صغيرًا ومتجهةً نحو نورة. وتجهزت نورة لتحتضنها، ولكن... مرَّت الفتاةُ بها واستقرَّت في أحضانِ دنيا التي حملتها إلى أعلى.

- «ليس لي حظٌّ مع الأطفالِ...».

تنهدت نورة ودخلت، وتبعتها دنيا حاملةً الطفلةَ ذات الثمانية أعوام، وأخيرًا ليون.

- «أستاذة دنيا، مرحبًا بعودتكم. ستكونُ المقبِّلاتُ جاهزةً في دقائق».

كان بالداخلِ رجلٌ شـعرهُ أشـقر بنفسِ درجةِ لونِ شـعرِ البنتِ الصغيرةِ، وتلوَّنت عيناهُ بذات الزرقةِ. وقفَ بحجرةٍ صغيرةٍ كانت مطبخًا متصـلًا بغرفـةِ الاسـتقبالِ، وارتدى زيًّا يُظْهِرُ أنهُ لمْ يكنْ مجرَّدَ راع أو حطابٍ، وكانت على رأسهِ قبعة بيضاء تشبهُ قبعةَ الطاهي.

جلست نورة على أولِ كرسيٍّ قابلها، أما دنيا فدخلت حتى المطبخِ ووضعت الفتاةَ الصغيرةَ أرضًا.

تحدَّثَ الرجلُ دونَ أن يعلمَ بوجودِ ليون بعد: «أستاذة دنيا، هل سيتأخرُ ذلك الضيفُ الذي ذكرته سابقًا؟».

قبلَ أن تُجيبَ دنيا، قفزت الفتاةُ الصـغيرةُ وقالت: «اسـمها دُنْدُنْ! أعطني بعضَ الحلوى!».

- «هذه ليست حلوى يا سلمى، هذا طعامُ الضيوفِ».

-«أرجوكَ!».

- «حسنًا، القليلَ فقط».

أخذت الفتاةُ الطعامَ وهدأت قليلًا، فأتاحت الفرصـةَ لدنيا لتتحدثَ: «الضيفُ هنا».

نظرَ الرجلُ فرأى ليون الذي أزالَ غطاءَ رأسـهِ، فأنهى وضـعَ ما صنعَ مِن طعامٍ في طبقٍ سريعًا، وذهبَ مبتسمًا إلى ليون، فصافحهُ وقال: «أنا محمد، صـاحبُ هذا البيتِ. أرجو أن تكونَ دنيا قد أخبرتكَ أن هذا ليس نُزُلًا أو فندقًا، ومع ذلك، خذْ راحتكَ وتمتَّعْ بالإقامةِ في إطارِ ما يَسمحُ بهِ المكانُ».

أشـارَ محمد إلى ليون بأن يجلسَ حيثما شـاءَ، ثم عادَ إلى المطبخِ ورجعَ بعدَ دقيقةٍ حاملًا الطعامَ، قائلًا: «أرجو أن تتبعني؛ الأسـتاذُ سـامح ينتظركَ بالأعلى».

جاءت سـلمى الصـغيرةُ جريًا فوقفت عند رجلي محمد وصـاحت: «أبي، أبي! قطعةً أخرى!».

- «آخِر واحدةٍ».

أعطاها الأبُ قطعةً مِن المقبلاتِ والتي كانت نوعًا مِن المخبوزاتِ، ثم نظرَ إلى ليون وابتسـمَ قائلًا: «لا تَلُمْها؛ فأنا واثقٌ في مذاقِ طعامي. كما أنها ابنتي الوحيدة».

طرقَ محمد بابَ حجرةٍ بالدورِ العلويّ، ودخلَ يتبعهُ ليون. وكان باسـتقبالهما بالداخلِ رجلٌ سـمينٌ بعضَ الشـيءِ، صـاحبُ شـعرٍ أبيض مخفيّ تحتَ قبعةٍ مِن فراءٍ، وصاحبُ معطفٍ طويلٍ مِن الفراءِ -مِن النوعِ الذي لا يلبسـهُ إلا الأغنياءُ-. وبجانبهِ جلسـت فتاةٌ شـابةٌ صـاحبةُ شـعرٍ أزرق بلونِ السـماءِ، مصـبوغ ليكونَ علامةَ جمالٍ كما هي العادةُ في بعضِ أجزاءِ ألسـندا ومضـفَّرٍ في ضـفيرةٍ طويلةٍ تصـلُ إلى صـدرها مِن ناحيةِ كتفها الأيمنِ.

- «ليون! بني! لا وصْـفَ لفرحتي وأنـا أراكَ أمـامي! الحمـدُ للهِ! الحمدُ للهِ والشكرُ لهُ سبحانهُ!».

قامَ الرجلُ ذو الملابسِ الفرويةِ -سـامح ياسـين-، فأخذَ ليون بين يديهِ، واحتضـنهُ لسـعادتهِ الشـديدةِ بسـلامتهِ، ثم وقفَ يمسـكُ بكتفي ليون غيرَ مصدّقٍ وجودهُ أمامهُ.

وضعَ محمد الطعامَ على طاولةٍ صغيرةٍ، وقالَ: «اسمحا لي، إن احتجتما شيئًا أخبراني».

شكرهُ سامح، ثم خاطبَ الفتاةَ الجالسةَ: «لِيَا، اتركينا الآن».

جلسَ سامح ياسين أمامَ الطاولةِ التي وُضِعت عليها المقبلات، وجلسَ ليون أمامهُ مباشرةً، بحالهِ كما كانت، في صمتٍ تامٍ، وبدأت السحبُ تسيرُ في السماءِ لتسمحَ بضوءِ الشمسِ في الحجرةِ على فتراتٍ متقطعةٍ.

هدأت سعادةُ سامح قليلًا وقالَ: «كيف حالكَ يا بني؟ أرى أن الأيامَ السابقةَ أذهبت ابتسامتكَ المعتادةَ».

- «أنا بخيرٍ».

لمْ يُعجب الردُّ القصيرُ سامح، فنظرَ قليلًا إلى الشباكِ الصغيرِ المطلِّ على الطريقِ الرئيسيِّ للقريةِ، ثم عادَ ليتأملَ حالَ الفتى أمامهُ. لقد كان يعرفهُ منذ أن وُلِدَ؛ فعملهُ كوالٍ لإركلًا -أحدَ أكبرِ ولاياتِ السندا- جعلهُ يترددُ كثيرًا على القصرِ الملكيّ. وحتى بغضِّ النظرِ عن طبيعةِ عملهِ، كان سامح صديقًا يترددُ لزيارةِ الملكِ الصالحِ، الذي عرفهُ وصادقهُ منذ الطفولةِ. وفي كلِّ زياراتهِ، رأى وجهًا آخرَ لليون، وجهًا لمْ يكنْ بهِ مِثلُ هذا الحزنِ إلا عند موتِ الملكةِ، وكان هذا الحدثُ المؤسفُ قديمًا نسبيًا، فسمحَ الوقتُ بأن ينسى سامح وجهَ ليون الحزين، وبأن تصيرَ البسمةُ هي الغالبة ثانيةً... والآن، عادَ الحزنُ.

- «ليون، بني...».

بدأ سامح يتحدثُ: «هذه الأحداثُ مأساويةٌ. قد لا تكونُ الأخيرةَ مِن نوعها -لا أريدُ أن أضحكَ عليكَ-، ولكن الوقتَ لا يتوقفُ؛ لذلكَ على الإنسانِ أن يسيرَ».

أجابَ ليون: «لا أريدُ سماعَ هذه الكلماتِ، أخبرني بما حدثَ... منذ سقوطِ العاصمةِ».

خضعَ سامح لإرادةِ ليون، فبدأ يروي ما حدثَ بلا تحفُّظٍ:

- «بعدَ سقوطِ العاصمةِ، أعلنَ ابن الإمبراطورِ أن ألسندا صارت الدولةَ السادسةَ التابعةَ لديمنتيا والحلفِ الخماسيِّ، وألغى الملكيةَ ووضعَ أخاهُ الأصغرَ حاكمًا، وبالتأكُّدِ مِن مقتلِ الملكِ الصالحِ في الحربِ، فقدَ الجنودُ معنوياتهم، وسقطت المقاومةُ في العاصمةِ وفي المناطقِ حولها، ووضعَ جيشُ ديمنتيا قبضتهُ على كلِّ الحصونِ والمواقعِ في المنطقةِ... الموقفُ شديدُ السوءِ... لا يبقى مِن المقاومةِ إلا فرقٌ مختلفةٌ فيما بينها، وانسحبت جميعها إلى الغاباتِ، الجبالِ، أو الأريافِ».

- «وأختي؟».

- «الأميرة نادين...».

- «أخبرني الحقيقةَ...».

- «الحقيقة... سيقامُ زفافها لحاكمِ ألسندا الجديدِ في الأيامِ القادمةِ... يرغمونها على ذلكَ ليحصلوا على موقفٍ أكثرَ صلابة، وربما على تأييدِ بعضِ الأغبياءِ ممن يسهلُ التأثيرُ فيهم».

ظهرَ الارتعادُ على وجهِ ليون لحظةً، قبل أن يتمالكَ نفسهُ أمامَ ما سمعَ.

قال سامح: «الموقفُ شديدُ السوءِ... ولكنهُ لا يسمحُ باليأسِ، مِن الآن يمكنكَ أن تقررَ: هل ستهربُ لتعيشَ لاجئًا، أم ستحاربُ معي؟ مِن مكاني كوالٍ على إركلَّا لا أستطيعُ إعلان معاداتي لديمنتيا؛ فتحتَ الضغوطِ أنا مُلزمٌ بالولاءِ للحاكمِ الجديدِ، ولكن هذا لا يمنعُ أن أساعدَ المقاومةَ مِن الخفاءِ... (الخناجرُ التسعةُ) هذا اسمُ حركةِ المقاومةِ التي بدأتها، والتي أريدكَ أن تقودها؛ كالأميرِ والوريثِ الشرعيِّ للعرشِ يمكنكَ أن توحِّدَ الصفوفَ، وتجمعَ الكثيرين تحت رايتكَ. بنجاتكَ مِن الموتِ، لمْ ينجُ (ليون) وحدهُ، بل نجا اسمُ ومكانةُ ألسندا معهُ، فلماذا لا تقفُ بصفِّنا؟ لنحاربَ جميعًا كألسنديين لا يخشون موتًا في الحربِ».

ظلَّ ليون صامتًا، فسارعَ سامحُ بالإضافةِ: «أنا آسف! لا تأخذ القرارَ الآن؛ حتى أنا لن أستطيعَ أخْذَ مِثلهِ في لحظةٍ... القراراتُ تأخذُ بعدَ تفكيرٍ طويلٍ. أنا أكثرُ الناسِ درايةً بحزنكَ لعدمِ قدرتكَ على خوضِ هذه الحربِ، ولكني أيضًا أعلمُ أن ما رأيتَ في الأيامِ السابقةِ ليس بالهيِّنِ؛ لذلك، خذْ وقتكَ... إن أردتَ اللجوءَ السياسيَّ، سأوفرُ لكَ الملجأ المناسبَ في دولةٍ محايدةٍ، وإن أردتَ الحربَ سأساندكَ إلى آخِرِ نفسٍ في حياتي. غيِّرْ ملابسكَ، وارتحْ قليلًا، ثم أسمعني إجابتكَ... هل بعد الغداءِ موعدٌ مناسبٌ؟».

-«أجل».

- «نصيحة مني، بني، لا تكنْ عاطفيًّا في قرارِكَ؛ قد لا نستطيعُ إنقاذَ الأميرةِ، قد نعودُ إلى ألسندا فقط لنموت... ليس بالحربِ أبطالٌ، فقط ضحايا، ولكن، (أن ترفعَ سيفًا لتدفعَ الظلمَ عن مَن تحبُّ) هذا ما يُدعى السموَّ والنُّبْلَ».

نزلَ ليون إلى الطابقِ الأولِ ليجدَ دنيا مبوّزةً في ناحيةٍ، وليا -التي لمْ يتعرفْ عليها بعد- في الناحيةِ الأخرى تمسكُ دميةً خشبيةً صغيرةً، وتعملُ على ربطِ بعضِ الخيوطِ بها.

- «هل مِن خطبٍ ما؟».

جلسَ ليون على أحدِ الكراسيّ الخشبيةِ في الوسطِ وأخذَ يجففُ شعرهُ بفوطةٍ صغيرةٍ. لمْ تنظرْ إليهِ دنيا، وإنما أجابت، وهي ما زالت تعبّرُ عن استيائها: «خرَجَت نورة، وخرجَ محمد، والبنتُ الصغيرةُ نائمةٌ... تركوني جميعًا *معها*...».

كانت تقصدُ لِيَا -الفتاةَ الأخرى-.

- «وهذهِ مشكلةٌ؟».

التفَّت دنيا وقالت: «استمع»، ثم نظرت إلى ليون لحظةً في صمتٍ، ثم قالت: «مَن أنتَ؟».

- «ما هذا السؤالُ؟».

استغربَ ليون السؤالَ، ولكن الحقيقة أن شكلهُ اختلفَ كثيرًا عن ذي قبل؛ فالآن ارتدى ملابسَ جديدةً تمثلت في بنطالٍ أسود وقميصٍ رماديّ، وحتى شَعرهُ اختلفَ بعدَ أن غسلهُ ومشَّطهُ. بشكلهِ الجديدِ، نظرَ إليها متسائلًا لحظةً، ثم التفتَ إلى صاحبةِ الشعرِ الأزرقِ، التي دامت على وجهها تقطيبةُ حزنٍ لمْ يعلمْ لها سببًا.

وجَّهَ ليون إليها الكلامَ: «أا... اسمُكِ لِيَا، أليس كذلك؟».

أومأت الفتاةُ في صـــمتٍ دون أن تلتفتَ، فأكملَ ليون حديثهُ موجهًا لهُ نحوَ دنيا هذه المرةَ: «هل هي صديقتكِ؟».

- «صديقتي؟! ما الذي تقولهُ؟! احمد اللهَ أني وافقتُ على الخروجِ في المهمةِ وأنا أعلمُ أنها سترافقنا».

جاءَ صوتُ لِيَا: «الشعورُ متبادلٌ».

ســمعَ ليون صــوتَ البابِ يفتحُ ويغلقُ؛ دخلت نورة، فوضــعت حقيبةً صغيرةً عند البابِ، ثم سألت: «أينَ أصحابُ البيتِ؟».

فأجابت دنيا: «محمد خرجَ منذ فترةٍ، وســلمى نائمةٌ أو تلعبُ بالأعلى».

فقالت نورة: «لا تُعجبني الحالُ في القريةِ؛ الوضعُ هادئٌ أكثرَ مما يجبُ... لمْ أتفقد السوقَ أو أنحاءهُ بعد، ولكن مما رأيتُ، إلى الآن لمْ يأتِ جنديٌّ واحدٌ ليسألَ أهلَ القريةِ عنا...».

قالت دنيا: «ألا يعني ذلكَ أن الخطةَ نجحت؟».

لمْ يُحب ليون موقفهُ كمستمع لا يدري الكثيرَ عما يقالُ، فسألَ: «وما تفاصيلُ الخطةِ؟».

أجابت دنيا: «الخطةُ البديلةُ: إن لمْ نستطعْ عبورَ الحدودِ بالسرعةِ القصوى، نحضُرُ إلى هذه القريةِ؛ ليست مباشرةً على الطريقِ إلى الحدودِ، وبذلك لا يشكُّ العدوُّ بأننا هنا. وبعدَ هدوءِ الأوضاعِ، ننطلقُ مِن هنا لنعبُرَ الحدودَ، عائدين إلى ألسندا دونَ قتالٍ. نسبةُ النجاحِ ١٠٠ بالمائة!».

قالت لِيا: «لستُ مطمئنةً».

صـــاحت دنيا: «لا تبالِ بما تقولُ! بقدرِ قلةِ كلامها، إذا تحدَّثت يكونُ مُزعجًا هكذا!».

عادت نورة لتقولَ: «أوافقُ لِيَا... ما زلتُ قلقةً».

نظرَ ليون إلى ثلاث الفتياتِ -دنيا ونورة ولِيَا-، منقذاته، وتذكَّر قليلًا مِن الحلمِ الذي رآهُ بزنزانةِ الحصـــنِ، تشـــابه أولُ الحلمِ بما حدثَ الآن... وتشـــابهت ثلاث الفتياتِ اللاتي رآهن بالحلم بثلاث الفتياتِ اللاتي رآهن الآن. مع هذا الشعورِ بدأ يتساءلُ:

- *«هل ســـيغير شـــيئًا تفكيري في الحلمِ؟ في القدرِ؟ هل ســـيغير قراري؟ قراري... على ماذا أبنيهِ؟»*.

فُتِحَ بابُ البيتِ، ودخلَ صـاحب البيتِ محمد مسـرعًا، مقاطعًا الحديثَ بالداخلِ ومقاطعًا تساؤلاتِ ليون، قائلًا: «أنا آسف على تأخري، سأبدأ في تحضيرِ الغداءِ حالًا!».

تعثَّرَ الرجلُ وســقطَ، فأســرعت دنيا لتســاعدهُ ومعها ليون ليلتقطَ الأشياءَ المتساقطةَ.

- «وجهكَ شاحبٌ يا محمد، هل أنتَ بخيرٍ؟».

تمـالـكَ محمـد نفســـهُ، ووقفَ ســـريعًـا، مجيبًـا: «بخيرٍ، بخيرٍ والحمدُ لله».

أعطى ليون محمد ما أوقعَ، ثم نظر إليهِ لحظةً، قبلَ أن يُســـرِعَ محمـد إلى المطبخِ، وهو يعيـدُ القولَ: «بخيرٍ والحمـدُ لله، لا تقلقوا؛ أنـا فقط أخافُ أن يستاءَ الأستاذُ سامح مِن إهمالي».

ضـحكت دنيا وقالت: «لا تقلق! كنتَ تبتاعُ الطعامَ لتحضِّـرَ الوجبةَ، كما أنهُ لا يمكنُ لمَن يتذوقُ طبخكَ أن يستاءَ!».

- «حرامٌ أن ننتظرَ هكذا! لماذا يقدِّمُ لهما الطعامَ أولًا؟!».

تذمَّرت دنيا بينما صـعدَ محمد السـلمَ ليقدِّم الغداء لليون وسامح، الذين جلسا بغرفةِ الأخيرِ يتحدثان قليلًا.

-«تفضَّل».

بإذنِ سـامح، دخلَ محمد إلى الغرفةِ حاملًا الطعامَ، ووراءهُ جاءَ ضيفٌ لمْ يتوقعهُ: أسرعت سلمى الصغيرةُ -بنتهُ- في عقبهِ، فأوقفتهُ بعد أن وضعَ أول طبقٍ أمامَ الاثنين، وأخذت تكررُ: «أبي! إني جائعةٌ!».

همسَ محمد: «هذا الطعامُ للضيوفِ، انتظري».

- «لا! أريدُ قطعةَ حلوى واحدةً على الأقلِّ!».

تركت البنتُ والدها، وتوجهت إلى سـامح: «أسـتاذ سـامح، هل يمكن أن آخذَ قطعةَ حلوى؟».

وأشارت إلى قطعةٍ مِن مخبوزاتٍ قدَّمها والدها.

ابتسـمَ سـامح، ومدَّ يدهُ إليها بواحدةٍ قائلًا: «لا مشـكلة يا محمد. تفضلي يا صغيرة».

ولكن محمد أخذَ القطعةَ منها بسرعةٍ وصاحَ بها: «قلتُ لا!».

فبدأت الفتاةُ تبكي، وبسرعةٍ تركت الغرفةَ.

تعجبَ سامح وقال: «محمد، إنها طفلة...».

- «سأصالحها في وقتٍ لاحقٍ يا سيدي».

وضعَ محمد الطبقَ الآخرَ أمامَ ليون، والتفتَ للانصرافِ، ولكن ليون أشارَ إلى سامح بألا يأكلَ، وسارعَ بالقولِ: «أستاذ محمد، لماذا لا تتفضل أنتَ وبنتكَ لتشاركنا هذه الوجبةَ؟».

التفتَ محمد وقال: «أشكرُ عرضكَ يا سيدي، ولكن لا يمكننا».

قال ليون: «لن تخدعَ أحدًا بتمثيلكَ هذا».

- «ما قصدُكَ يا سيدي؟».

- «حتى وإن لمْ تفْضحكَ بنتكَ لعرفنا؛ تمتلكُ ما يقالُ عليهِ (وجهٌ لا يكذبُ) ... لا تستطيعُ أن تضعَ السمَّ لأحدٍ وتبتسمَ دون اضطرابٍ أو شعورٍ بالذنبِ».

قامَ سامح مِن كرسيهِ، وصاحَ: «سمٌّ؟!».

بلا أيّ انكارٍ أو مقاومةٍ، أو حتى محاولةٍ للهربِ، نزل صاحبُ البيتِ محمد إلى ركبتيهِ وظهرَ ارتياحٌ كبيرٌ على وجههِ، قبلَ أن يقولَ: «الحمد لله الذي لمْ يجعل مني قاتلًا».

وابتسمَ قليلًا، كمَن فقدَ الأملَ في النجاةِ.

- «ما مدى علمكَ بما يحدثُ؟ بمَن نحن؟».

- «لا أعلمُ ما يحدثُ هنا، ولا أعلمُ مَن أنتم بالضبطِ. كما قلتُ للسيدِ سامح مِن قبل: لقد وافقتُ على بقائكم هنا لأني أحتاجُ بعضَ المالِ... إن أعطيتني الفرصةَ سأخبركما بكل ما حدثَ».

هدأ سامح وقال: «تكلَّمْ».

- «أرجو أن تستمعَ إلى كلِّ ما عندي، وأرجوكَ، لا تُسِئ الظنَّ بي، حتى مع ما اقترفتُ. ذهبتُ إلى السوقِ لأبتاعَ ما نقصني مِن مكوناتٍ لتحضيرِ الغداءِ، وإذا بمجموعةٍ يرأسها شيخُ القريةِ تأخذني وتقودني خارجَ القريةِ إلى معسكرٍ صغيرٍ نصبهُ جنودٌ. أدخلوني إلى الخيمةِ الرئيسيةِ، ووضعوني أمامَ رجلٍ ضخمٍ أخبرني بأني آوي مجرمين في بيتي، وبأني قُبِضَ عليَّ لتعاوني معهم. بالطبعِ أنكرتُ استضافتي لأحدٍ... ثم مع تهديداتِ الشيخِ، أنكرتُ معرفتي بأنكم مجرمون، ولكنهم لمْ يصدِّقوا... ثم تحدَّث الرجلُ قائدهم ثانيةً، تجاهلَ كلَّ ما قيلَ، وأمرني أن أتعاونَ معهم إن أردتُ الحفاظَ على حياتي وحياةِ بنتي؛ فأعطاني سُمًّا، وطلبَ مني أن أضعهُ لكم - (ابتداءً بالشابِّ)، على حسبِ تعبيرِهِ-».

قبل أن ينطقَ سامح ثانيةً، تحدثَ ليون: «وأين المعسكرُ الذي ذكرتهُ؟».

- «في شرقِ القريةِ، وسطَ أشجارِ الغابةِ».

بسماعِ الإجابةِ، وجَّهَ ليون كلامهُ إلى سامح: «قلتَ إن لديكَ عربات جاهزة...».

قال سامح: «أجل، اثنتان -عربتنا وعربة لِيَا-، إنهما الاثنتان اللتان رأيتَهما بالقربِ مِن البابِ».

قاطعَ محمد: «اسمحا لي، البيتُ مراقبٌ، وهناك على الأقلِّ قناصٌ واحدٌ على البيتِ المقابلِ، ينتظرُ أن تخرجوا مِن البيتِ لتصطادكم سهامهُ إن فشلتُ أنا؛ فتكفيرًا عن خطأي، يمكنني أن أدلَّكم على طريقٍ خلفيٍّ... مدخلٍ استعملهُ لنقلِ الحطبِ إلى القبوِ».

فكَّرَ ليون لحظةً، كان محمد تحت يديهِ؛ فلمْ يكنْ هناك سببٌ ليكذِّبَ قولهُ، خاصةً أنهُ كشفَ هذا الخطرَ المحتملَ بمحضِ إرادتهِ، ولكن، كانت للموقفِ عواملٌ عدةٌ -مزايا وعيوبًا- يجبُ أن يتخذها في الحسبانِ قبلَ أن يوافقَ أو يَرْفُضَ أيَّ اقتراح.

عادَ محمد يقولُ: «سيدي، يقولُ جنودُ ديمنتيا أنكم مجرمون، ولكني لا أصدقهم؛ في هذه الأنحاءِ يستخدمون سلطتهم في ظلمِ الناسِ، وسأتعرضُ أنا وبنتي لهذا الظلمِ إذا ظللتُ بهذا المكانِ... أرجوكما، صدِّقاني وخذاني معكما بعيدًا عن هنا، فقط إلى الأمانِ، ثم لن تريا وجهي ثانيةً. أريدُ إنقاذَ بنتي، لا أهتمُّ بغيرها في هذه الدنيا».

ثارَ سامح: «يا لكَ مِن وقح! تضعُ السمَّ لنا، ثم تطلبُ النجدةَ!».

أشارَ ليون إلى سامح بأن يهدأ، ثم قال: «كما تقولُ بالضبطِ يا محمد، أنتَ وبنتكَ الآن مقحمان، فيما يحدثُ وما سيحدثُ سواءً؛ لذلكَ لا تتعجلْ، اختر الفرقةَ التي ستضمنُ حياتكَ وحياةَ بنتكَ حقًا. إن أردتَ اللجوءَ للجنودِ ضدنا، فلن أمنعكَ. وإن أردتَ مساعدتنا، فسأساعدكَ».

ذُهِلَ سامح وقالَ: «ما الذي تقولهُ؟!».

رفعَ محمد رأسهُ وقالَ: «سبقَ أن أخذتُ القرارَ يا سيدي—أنا معكم».

قامَ ليون، ومدَّ يدهُ إلى محمد فأوقفهُ على قدميهِ، وقال: «إذًا، أخبرْ نورة والاثنتين بكلِّ ما حكتهُ لي، ثم خذْ بنتكَ وانتظرا نزولنا».

أومأ محمد وتركَ الغرفةَ، غالقًا بابها وراءهُ.

تنهدَ سامح وقال: «أنتَ لا تفكِّرُ!».

عادَ ليون إلى كرسيهِ، وسألَ: «لماذا تقولُ ذلكَ؟».

- «يجبُ أن تعرفَ ما قد يسببهُ قرارُكَ هذا... قد يصبحُ خنجرًا في ظهرِكَ».

- «لقد رأيتَهُ يا سامح، ليس كما تظن».

- «جميعهم هكذا: يتظاهرون بالضعفِ ويخفون الخيانةَ».

هزَّ ليون رأسهُ نافيًا، ثم قال: «التعميماتُ كثيرًا ما تكونُ خاطئةً؛ هناكَ دائمًا مَن يخرقُ القاعدةَ. الأهمُّ الآن أني أخذتُ القرارَ: لن أهربَ يا سامح، سأحاربُ».

- «هل تعني أمامَ الجنودِ الآن؟».

- «لا، أعني الآن وبعدَ ذلكَ؛ لن ألجأ، سأحاربُ على أرضِ ألسندا، لأجلها».

أشرقَ وجهُ سامح، وبدا كأنهُ قد نسيَ كلَّ ما حدثَ سابقًا، فقامَ مِن كرسيهِ سريعًا، واتجهَ إلى خزانةٍ صغيرةٍ، أخرجَ مِنها صندوقًا أسود متوسطَ الحجمِ، وعادَ بهِ ليضعهُ على الطاولةِ بعدَ إزالةِ الطعامِ.

- «لن تغيِّرَ رأيكَ؟ لا عودة...».

- «لن أغيرهُ».

فتحَ سامح الصندوقَ، ثم تركهُ لحظةً وقالَ: «بني، ليون، لماذا شنَّت ديمنتيا الحربَ على ألسندا؟ الآن... في هذا التوقيتِ؟ لمْ يذكروا

سببًا، ولكن بعضَ أهلِ ألسندا يقولون إن الهجومَ جاءَ بسببِ سياسةِ الملكِ المعاديةِ لديمنتيا، وذلكَ غيرُ صحيح. السببُ الحقيقيُّ أن الملكَ الصالح أرادَ ألسندا أن تصبحَ قويةً: السببُ الحقيقيُّ في هذا الصندوقِ، وفي يدِ الخناجر التسعة».

ألقى ليون نظرةً قصيرة على ما كان داخل الصندوقِ.

أكملَ سامح: «ما سأخبركَ بهِ هو سرٌّ حفظتهُ أنا ووالدكَ، وفضحهُ الخونةُ والجواسيسُ للأعداءِ، فأتت الحربُ. منذ صغرنا، حلمتُ أنا ووالدكَ بتغييرِ ألسندا كلها. جدكَ لمْ يكنْ ملكًا سيئًا، ولكن بنهايةِ عهدهِ، صارت ألسندا بلدًا ضعيفًا يتخللهُ الظلمُ والفسادُ، بلدًا لا يستطيعُ أن يقفَ وحدهُ، بل يحتاجُ مَن يطمعهُ ويدافعُ عنهُ -رضيعًا إن شئتَ التشبيهَ-. وفي الوقتِ الذي كان على الألسنديين العمل والإنتاج، ازدادوا في الاعتمادِ على غيرهم مِن الدولِ. وفي الوقتِ الذي ازدادت فيهِ تلكَ المشاكلُ وظهرت أشباحُ الدمارِ، صعدَ والدُكَ إلى الحكمِ، وقررَ أن على ألسندا أن تتقدمَ وأن تصبحَ قوةً بهذا العالمِ. كان يقولُ: (كيف نعتمدُ على ديمنتيا؟ كيف نعطيها مواردنا مقابل الحمايةِ؟ إنَّ هذا هو الذلُّ، الذلُّ الذي بيدي سأغيرهُ الآن -حتى وإن رفضَ كلُّ العالمِ- بجهدِ كلِّ ألسنديّ!). بدأ الصالح يحاربُ الفسادَ، وبدأت أساندهُ بكلِّ ما أملكُ، حتى تحسَّنت الحالُ قليلًا...».

صمتَ سامح قليلًا، كأنما الجزءُ القادمُ صعبٌ عليهِ حكايتهُ، ثم قال: «ولكن والدكَ أخذ قرارًا صعبًا... قررَ أن ألسندا لن تصدِّرَ الجيماتَيْتَ إلى ديمنتيا، واتفقَ معي على إنشاءِ مؤسسةٍ سريةٍ للبحثِ والتطويرِ، حتى تستغلَّ ألسندا ما تنتجهُ مناجمها مِن المادةِ. وكان الغرضُ الأولُ مِن هذه المؤسسةِ أن تخترعَ أسلحةً متطورةً باستخدامِ

الجيماتَيْتِ -المادةَ نفسها التي جعلت أسلحةَ ديمنتيا أقوى أسلحةٍ في العالمِ-. ثم جاءت الحربُ. خوفًا مِن أن تصبحَ ألسندا قوةً عالميةً. قبل أن يتمَّ تصنيعُ الأسلحةِ، كشفَ جواسيسُ ديمنتيا خطةَ الملكِ، وشنَّت ديمنتيا هجومها الشاملَ على ألسندا... وأنتَ تعلمُ الباقي...».

لمْ يُعلِّقْ ليون، فأدارَ سامح الصندوقَ الأسودَ، وقرَّبهُ مِن ليون، قائلًا: «ولكني أنقذتُ الكثيرَ قبل أن يُدمَّرَ مبنى المؤسسةِ وتُسرقَ المعاملُ: مع نورة قوسٌ مقوًّى بالجيماتَيتِ، يستطيعُ قنْصَ أيِّ كائنٍ حيٍّ مِن أبعادٍ خرافيةٍ. مع ليا خيوطٌ مطليةٌ بالجيماتَيْتِ، تستطيعُ أن تُعطي للدمى الحياةَ وتحركها بحريةٍ كاملةٍ، كالجنودِ. ومع قادةِ (التسعة خناجر) أسلحةٌ أخرى... الجيماتَيْتُ مادةٌ غريبةٌ، لمْ يستطع العلمُ تفسيرَ خصائصها أو تأثيراتها كلها، ومع كلِّ تجربةٍ تُظهرُ استخدامًا جديدًا؛ لذلكَ وجبَ أن نستخدمها لصالحنا الآن... وأهمُّ ما عثرنا عليهِ هو ما تراهُ أمامكَ... ما تراهُ هو ما سيصنعُ سلاحَ القائدِ -سلاحكَ- يا ليون...».

بعدَ صمتهِ الطويلِ، ابتسمَ ليون وقال: «لماذا لا نضعُ كلَّ هذا تحتَ التجربةِ الآن؟».

-«الآن؟».

- «أجل، على الأقلِّ ما يُمكنُ تجربتهُ؛ أليس هناكَ رجلٌ يريدُ العودةَ برأسي إلى الإمبراطور؟».

- «قاسم الجرَّاح...».

- «أجل، في الحقيقةِ، أنا أيضًـا بدأتُ أتمنى أن أعودَ برأسـهِ إلى ألسـندا، ويبدو أن الله يعطي الفرصـةَ لينجحَ أحدنا في تحقيقِ مرادهِ، ألا تظنُّ ذلكَ أيضًا؟».

نزلَ ليون السلالم سريعًا، وخلفهُ سامح.

- «دنيا، جهّزي كراتكِ السوداء».

- «أخيرًا سنبدأ!».

كان الكلُّ مجتمعًا في حجرةِ الاسـتقبالِ، وتجهَّزَ ليون ليخبرَ كلَّ فردٍ ما عليهِ فعلهُ بالضبطِ، ولكن محمد لمْ ينتظرْ بدئ كلامِ ليون؛ ترددَ لحظةً، ثم نادى:

- «سيدي ليون».

نظرَ ليون إلى وجههِ المملوءِ بالأسفِ، وسألَ: «ما الأمرُ؟».

- «في الحقيقةِ، هناكَ أمرٌ آخر أتمنَّى أن تأخذهُ في الحسـبانِ... هو طلبٌ، قد يكونُ صعبًا، ولا أُلزِمكَ بتلبيتهِ؛ فقط أرجوكَ...».

الحلفُ الخماسيُّ ١٣٥٠ ن.م.

بعدَ مائة سنة مِن الحربِ مع أربعةِ جيرانها، استطاعت مملكةُ جَسِنْما أن تُخضعَ جميعَ أعدائها لسيطرتها، وبمقتضى وثيقةِ الحلفِ الخماسيّ، أصبحَ الملكُ جاسر الأول إمبراطورًا، ووُلِدت إمبراطوريةُ ديمنتيا لتضُمَّ جَسِنْما وجيرانها كلهم. وهكذا، تشكَّلت أجددُ و -ربما- أقوى دولِ العالمِ عام ١٣٥٠ من النتيجةِ المقدسةِ. واليومَ، تحُدُّ إمبراطويةُ ديمنتيا مملكةَ ألسندا مِن الغربِ والشمالِ الغربيّ.

الجِيمَاتَيْتُ

رغمَ أنهُ ظهرَ في الأساطيرِ وعرفهُ القدماءُ، لمْ يعُد الجيماتَيْتُ ليظهرَ بالساحةِ العالميةِ إلا في سنةِ ١٣٧٥ ن.م.، عندما موَّلَ الإمبراطورُ جاسر الأول أعمالَ التنقيبِ والبحثَ العلميَّ في استخداماتِ الجيماتَيْتِ. رغم أنهُ حيَّرَ العلماءَ وجعلَ بعضهم يصدقُ خرافاتٍ تقولُ أن لهُ علاقة بالروح، يظلُّ الجيماتيْتُ مِن أهم مواردِ العالمِ: استخدامهُ الأساسيُّ في صنعِ الأسلحةِ، وأكبرُ مناجمهِ في جنوبِ ألسندا.

الأميرُ، ميّتًا

لنعد قليلًا بالزمنِ...

بعدَ هروبِ ليون ودنيا مِن حصنِ ندفة الثلجِ، انتظرَ قاسم الجرَّاح عودةَ العيون وجنودِ الاستطلاعِ بأخبارٍ تكشفُ موقعَ الهاربين أو اتجاههم الحاليَّ، وبعدَ انتظارٍ ليس بالطويلِ، جاءهُ جنودٌ أخبروهُ بأن ليون ومَن معهُ لمحَهم صيادون وهم يتجهون إلى قريةِ مشَّى الواقعةِ في الشمالِ الغربيّ للحصنِ، فبعثَ بجواسيس للتأكدِ مِن المعلومةِ، ثم اتجهَ بخَيرةِ رجالِ الحصنِ وبالرجالِ الذين صحبوهُ منذ بدايةِ الرحلةِ إلى قريةِ مشَّى.

ثم اتباعًا لنصيحةِ نائبهِ، قررَ اللجوءَ إلى الحيلةِ بدلًا مِن القتالِ المباشرِ، فأرسلَ خفيةً إلى شيخِ القريةِ ليحضرَ، ثم إلى محمد الذي صارَ أداتهُ في القضاءِ على ليون دون معركةٍ أو قتالٍ، بوضعِ السمّ. وكان قاسم مؤمنًا بنجاحِ الخطةِ؛ فكيف لليون أن يتوقعَ مِثْلَ هذه الحيلةِ، خاصةً بعدَ أن وصلَ إلى برِّ الأمانِ؟

وبسببِ هذا الإيمانِ، فضَّلَ ألا يُرْسِلَ جنودًا إلى القريةِ، وعسكرَ خارجَ جدرانها، وفقط للحيطةِ أرسلَ اثنين مِن الرماةِ ليتخلصا مِن ليون إذا فشلَ محمد...

- «بدْر، ما الأخبارُ؟».

التفتَ الرامي المستلقي على بطنهِ على المبنى المعاكسِ لبيتِ محمد، فرأى الرسولَ الذي بعثهُ قاسم كلَّ ربع ساعة ليحملَ الأخبارَ إلى المعسكرِ، فهدأ قليلًا، وعادَ لينظُرَ إلى بيتِ محمد بالمنظارِ الصغيرِ الذي كان بيدهِ، ثم قال: «أفزعتني يا أخي! مهّد لقدومكَ بصوتٍ ما».

ضحكَ الرسولُ وقال: «أيُّ صوتٍ كان ليخيفكَ؛ هذه القريةُ صارت قريةَ أشباح منذ أن حضرَ الشيخُ أمامَ السيدِ قاسم».

كان شيخُ القريةِ كالحاكمِ الصغيرِ الذي تُسْمَعُ كلمتهُ طالما قالها في حيّزِ جدرانِ القريةِ.

قالَ الرامي بدْر: «عُدْ إلى المعسكرِ؛ لا أخبارَ».

- «أحقًا تستطيعُ رؤيةَ أيّ شيءٍ بهذا المنظارِ؟ لقد فقدتُ العدَّ كم مرةً عدتُ بلا أخبارٍ».

- «لا أستطيعُ رؤيةَ داخلِ البيتِ، خاصةً مع انعكاسِ الشمسِ على الزجاجِ».

تثاءبَ الرسولُ ونامَ على ظهرهِ على السطحِ، ناظرًا إلى سماءِ العصرِ وما لحقهُ قبل المغربِ، ثم عادَ ليقولَ: «إذًا ما الفائدةُ؟ أتظنُّ حقًا أن ذلك القرويَّ سيخرجُ ليُعلنَ أنهُ نجحَ وينتهي الأمرُ؟ مستحيلٌ، مستحيلٌ. أرأيتَ ما فعلهُ الأميرُ للهربِ مِن إعدامهِ؟ هذه المجموعةُ خطرةٌ... كما أني سمعتُ أحدهم يذكرُ (الأسلحةَ الجيماتَيْتِيَّةِ) في الموضوعِ...».

- «أوافقكَ الرأيَ، ولكن ما الذي يراهُ الأعمى في الظلامِ؟ إنهم لا يدرون بعد أننا كشفنا مخبأهم، فإن فشلَ القرويُّ، سأهتمُّ بكلِّ شيءٍ مِن هنا».

رفعَ بدر القوسَ ليُظهرَ أن القوةَ لإنهاءِ الأمرِ بيدهِ، فضحكَ الرسولُ وقالَ: «اخفضهُ حتى لا يرونهُ!».

استاءَ بدر مِن سخريةِ الرسولِ، فقالَ: «هيَّا تحرَّكْ أيها الكسول؛ ستمضي ربع ساعة أخرى دون عودتكَ إن لمْ تتحركْ».

- «حاضر، حاضر».

-«انتظر!».

- «ما الأمرُ؟».

التفَّ بدر متحمسًا وقالَ: «انظر، القرويُّ يعطي الإشارةَ أنهُ نجحَ في المهمةِ! ها هي أخبارٌ لتحملها عائدًا!».

أرسلَ بدر إشارةً بسهمٍ في الهواءِ إلى زميلهِ الذي راقبَ الناحيةَ الأخرى مِن المبنى، ثم أسرعَ مِن على السطحِ، ليفقدَ البصرَ بما يحدثُ عندَ البيتِ لعدةِ ثوانٍ.

- «سأسرعُ أنا بالخبرِ إلى سيدي قاسم».

- «لا تسرق كلَّ المجدِ لنفسكَ!».

سارَ بدر بشيءٍ مِن نشوةِ النصرِ وهو يفكِّرُ:

- «يا ترى، هل في هذه النتيجةِ ترقيةٌ لنا؟ لا أريدُ أن نمضي بقيةَ حياتنا في هذه الأريافِ نحرُسُ سفحَ جبلٍ».

عندما وصـــلَ الرامي بدر وزميلهُ إلى واجهةِ بيتِ محمد، كان حصـــانان يصـــهلان ووراءهما عربةٌ جاهزةٌ ليجراها، عند ركنِ البيتِ. ووقفَ محمد أمامَ العربةِ.

رأى محمد الرامي بدر أولًا فقال: «أرجو أن تسرعَ؛ فحياةٌ معلقةٌ برقبتي».

تجاهلَ بدر التعليقَ، وســألَ: «هل اهتممتَ بجميعِ مَن صـحبوا الشابَّ؟».

- «أؤكدُ لكَ أنهم لن يستطيعوا التدخُّلَ؛ السمُّ عملَ مفعولهُ».

أومأ بدر سريعًا، ثم سألَ: «كم كانوا؟».

-«اثنان».

- «الجثتان بالداخِلِ؟».

- «أجل، أأصحبكَ إليهما؟».

- «لا، أريدُ جثةَ الشابِّ».

وصلَ الرامي الثاني، وكان أكبرَ سنًا وخبرةً.

قال محمد للاثنين: «لقد وضعتُ جسدهُ بالعربةِ».

فخاطبَ بدر زميلهُ: «إذًا، هيَّا، كلما أسرعنا كان أفضلَ».

ركبَ محمد بمقدمةِ العربةِ، واتجهَ الراميان إلى خلفِ العربةِ.

سألَ محمد: «هل مِن أمرٍ ما؟».

- «اصمت أنتَ».

ركبَ بدر العربة مِن الخلفِ، وتبعهُ زميلهُ المدعوُّ حسن.

قالَ حسن: «لماذا يا بدر...؟ قلتُ لكَ ألا تتسرعَ هكذا... كان يمكنُ أن يكونَ فخًّا فنقتلَ معًا... هآه، تفقد الجثةَ».

فردَّ بدر: «لا أقدرُ على التعاملِ مع الجثثِ، تفقدها أنتَ».

- «هيَّا! أنا لا أسألُ المستحيلَ، تفقَّدْ وجههُ ونبضَ معصمهِ».

- «حسنًا، حسنًا... يا لهُ مِن وضع يُلْقَى بهِ أميرٌ... حقًا، كما يقولون: الكلُّ سواسيةٌ في الموتِ».

- «مَن يدعون أمراءَ يمتصون دماءَ أمثالنا؛ مِثلُ هذا الوضعِ هو ما يليقُ بهم».

كان ليون ملقى على وجههِ وملصقًا بخشبِ العربةِ الذي صنعَ التحوُّلَ مِن سقفِ العربةِ الجلديّ إلى الأرضيةِ الخشبيةِ، وكانت يدهُ اليمنى تحتهُ مباشرةً، بينما اليسرى ملويةً إلى الخلفِ ومستقرةً على ظهرهِ.

انحنى بدر لحظةً، ثم قال: «الوجهُ وجههُ، ولا نبضَ بيدهِ. الله يرحمهُ إن شاءَ».

استنتجَ حسن أن محمد صادقٌ في كلِّ كلامهِ، وهدأ قليلًا مِن الشكوكِ، فقالَ: «هيَّا، احمد الله أن كل شيءٍ انتهى على ما يرام واركبْ بالأمامِ، سأُشاركُ أنا الجثةَ في المقعدِ».

خرجَ بدر ليجلسَ بمقدمةِ العربةِ بجانبِ محمد، وجلسَ حسن بالخلفِ.

وبعدَ لحظةٍ، سمعَ الجالسون بالأمامِ صوتَ حسن يقولُ: «ما كلُّ هذه الدمى يا محمد؟».

- «إنها جزءٌ مِن عملي... أنحتها مِن الخشبِ».

- «في حجمِ وشكلِ الإنسانِ؟ وتُلبسها ملابسًا؟ يا للقرفِ!».

- «إذا كنتَ لا تتحملها، يمكنني نقلها لعربةٍ أخرى، ولكني سأحتاجُ بعضَ الوقتِ».

- «سرْ، لا وقتَ».

آمنَ الراميان بما شاعَ عن قاسم الجراح بأنهُ «يعاقبُ ويكافئ بنفسِ الدرجةِ مِن الشدةِ»، وفسَّرا ما سمعا بأن مكافأةً عظيمةً تنتظرهما؛ فما أحضراهُ أعطى لهما الحقَّ لطلبِ «الكثيرِ الكثيرِ»، حسب ظنهما.

وهي تشاهدُ العربةَ تبتعدُ عن البيتِ، تنهدت دنيا.

- «آه، هكذا ضاعَ دورنا... كنتُ أودُ أن ألعبَ دورَ أحدِ الجنودِ ثانيةً، كان ذلكَ ليذكرني بما أبدعتهُ في الحصنِ!».

نظرَ سامح مِن الشباكِ فلمحَ آخِرَ عجلاتِ العربةِ قبل أن تمضي، وقالَ: «ما أبدعتهِ حدثَ هذا الصباح».

-«ذكريات!».

ضحكَ سامح ضحكةً خافتةً أشارت إلى إخفاءهِ لشيءٍ مِن القلقِ، ثم قالَ: «هيَّا، دقيقتان وسنبدأ في تحضيرِ العربةِ الأخرى».

- «ما هذا الظلمُ؟! يا ليت الجنود تفقدوا جثثنا! الآن لِيَا ونورة تحصلان على كلِّ المتعةِ وأنا أحضِّرُ العربةَ!».

-«استحملي».

تنهدت دنيا وتذكَّرت ما حدثَ منذ قليلٍ، عندما نادى محمد على ليون، قبل بدايةِ كلِّ شيءٍ:

- «سيدي ليون».

نظرَ ليون إلى وجهِ محمد المملوءِ بالأسفِ، وسألَ: «ما الأمرُ؟».

- «في الحقيقةِ، هناكَ أمرٌ آخر أتمنَّى أن تأخذهُ في الحسبانِ... هو طلبٌ، قد يكونُ صعبًا، ولا أُلزِمكَ بتلبيتهِ؛ فقط أرجوكَ...».

غضبَ سامح وسألَ: «ما الأمرُ الآن؟ أيملكُ مثلكَ أن يقولَ ما تقولُ؟».

في حجرةِ الاستقبالِ جلسَ محمد بسلمى الصغيرةِ في حِجْرِهِ، وتحدَّثَ:

- «فكَّرتُ في الأمرِ وترددتُ كثيرًا قبل أن أخبركَ، ولكن حقًا، لا يوجدُ بديلٌ. في الحقيقةِ، شيخُ القريةِ لمْ يُحضرني وحدي لأقفَ أمامَ مَن تدعونهُ قاسم، ولكنهُ أحضرني وصديقي المقرَّب خالد، واتخذَ خالد سجينًا عندهُ، وهددَ بقتلهِ إن فشلتُ في المهمةِ أو خنتهم... ولا يزالُ خالد أسيرًا في المعسكرِ الآن، فإن كنتَ ستقاتلُ، أرجوكَ، دعني أقاتل معكَ؛ قد لا يبدو عليَّ، ولكني أجيدُ استعمالَ السيفِ، كما أني أريدُ إنقاذ صديقي... أريدُ حقي في فرصةٍ لإنقاذهِ».

سألَ ليون: «وهل يستحقُّ صديقكَ ما تفعلهُ لأجلهِ؟».

-«أجل».

أمامَ ثقةِ محمد، سألَ ليون ثانيةً: «إذًا هو وسلمى جعلاكَ تضعُ السُّمَّ؟».

فقدَ محمد اتزانهُ ولمْ يدرِ كيف يجيبُ، فضحكَ ليون ضحكةً لمْ يرها أيُّ مَن كانوا بالحجرةِ مِن قبل، وقالَ: «لا مفرَّ... يبدو أني لن أستطيعَ تجربةَ الأجهزةِ التي أتى بها سامح كما أردت بالضبطِ، ولكن لا مشكلة».

- «لا يمكنني أن أشكركَ كفايةً——».

- «بالطبعِ سآخذُ المقابلَ المناسبَ لقاءَ ما سأفعلُ».

- «وأنا مستعدٌّ؛ يمكنني أن أقدِّم كلَّ ما بوسعي!».

توقَّف ليون عن الكلامِ لحظةً، فكَّرَ في الأمر، ثم أجابَ: «لقاءَ المساعدةِ... ستضطرُ لأن تقتلني».

-«عفوًا؟».

مرَّت العربةُ مِن البابِ الشرقيِّ للقريةِ، ونظرَ محمد إلى أعلى السورِ الخشبيِّ، فرأى جنديين قد وضعهما قاسم حتى لا يمُرَّ أحدٌ دون علمهِ وموافقتهِ. واستنتجَ محمد أن جنودًا آخرين تمركزوا عند البوابتين الباقيتين، وبذلك قد يكونُ عددُ الجنودِ بالمعسكرِ أقلَّ مِن المتوقَّعِ. وعززَ هذه الفكرةَ زيارتهُ السابقةُ للمعسكرِ؛ حيثُ أنهُ رأى أنهُ ليس بالكبيرِ، فكان بحجمِ بقعةٍ صغيرةٍ وسطَ الغابةِ.

- «لقد انتهى الأمرُ! جثةُ الأميرِ معنا!».

صـــاحَ بدر الجالسُ بجانبِ محمد إلى أحدِ الجنديين المراقبين للبوابةِ.

وبعدَ الصيحةِ، سمعَ بدر صوتَ حسن وهو يهمسُ بغضبٍ: «أيها الغبي! مـاذا ســتكســبُ إن أعلنـتَ الأمرَ الآن؟ مـاذا إن قررا النزولَ ومشاركتنا في المكافأةِ؟».

عبرت العربةُ وأكملت في الطريقِ الممتدِّ خارجَ القريةِ.

ردَّ بدر: «ليس كلُّ الناسِ هكذا!».

ثارَ حسن وصاحَ: «ما الذي تقصدهُ بـ(هكذا)؟».

- «لا أقصدُ شيئًا».

التزمَ بدر الصـمتَ قليلًا، حتى وصـلت العربةُ إلى مكانٍ مُعلَّمٍ برايةٍ حمراء صـغيرةٍ بها رسـمُ قصـرٍ أسـود -راية الإمبراطورية-، فخرجَ محمد بالعربةِ عن الطريقِ، وبدأ في السيرِ في طريقٍ آخر غير ممهدٍ وسطَ أشجارِ الغابةِ.

حينها، تنهد بدر وخاطبَ محمد لأولِ مرةٍ منذ تحرُّكِ العربةِ، قائلًا: «وأنتَ ما رأيكَ؟».

- «في ماذا؟».

- «في مشـكلتنا هذه... كلنا مِن المدنِ، وكلنا بُعثنا إلى الريفِ. الحياةُ صعبةٌ في هذه الأنحاءِ، خاصةً على مثلنا مِن الجنودِ، وهذه الحياةُ جعلتنا كما ترى نحلِّلُ فِعْلَ أيّ شيءٍ لنتخلصَ منها -نضحكُ على بعضنا البعضِ، نفضحُ أخطاءَ بعضنا البعض، نحسدُ ونحقدُ-، ولكني لا أؤمنُ

بأن واحدًا فقط يستطيعُ الهروبَ من هذه الحياةِ؛ إما أن نهربَ جميعًا أو نسقطَ جميعًا. أؤمنُ بأن علينا أن نعملَ معًا لنهربَ منها، بأن علينا أن نقتسمَ فاكهةَ جهودنا معًا... ولكن حسن والآخرين يدعونني مجرَّد غبيٍّ».

- «وما أدراني أنا؟».

- «اسمكَ محمد، أليس كذلكَ؟ أنتَ قرويٌّ، ولا بدَّ أن ما أثَّرَ بالمدينةِ أثرَ بالقريةِ عشرات الأضعاف».

- «لا علمَ لي؛ لستُ قرويًّا، ولستُ مِن هذه المنطقةِ في الأساسِ».

ظنَّ بدر أن أحدًا لن يفهمهُ، فعادَ إلى برودهِ، وحينها ظهرَ المخيَّمُ بعدَ أوراقِ آخرِ شجرةٍ، فتمتم بصوتٍ خافتٍ: «وصلنا».

لمْ يتجهْ محمد بالعربةِ مباشرةً نحو الوقوفِ، بل دارَ بها لتواجهَ جهتُها الخلفيةُ الخيامَ، معللًا بأن ذلكَ يسهّلُ إنزالَ الجثةِ. وبتوقف العربةِ النهائيّ، نزلَ ثلاثةُ الرجالِ -محمد وبدر وحسن-، فاتجهَ الأخيرُ إلى الخيمةِ الرئيسيةِ ليكونَ الأولَ ليُخبرَ قاسم بوصولِ جثةِ الأميرِ.

- «مكافأةً تقولُ؟! كلُّ ما فعلتموهُ أن صححتم خطأكم السابقَ!».

صاحَ قاسم الجراح بأعلى صوتهِ، حتى أخافَ حسن مِن أمامهِ، فعادَ حسن يجري خارجَ الخيمةِ. ووراءهُ، ظهرَ قاسم بالمشهدِ.

خرجَ مِن الخيمةِ بدرعهِ العملاقِ وسيفهِ المماثلِ في الحجمِ، وسارَ حتى صارَ على بُعدِ خطواتٍ مِن حيث وقفَ بدر ومحمد، ثم

توقَّفَ، وتوقَّفَ وراءهُ مساعداهُ الاثنان، وبدأ بعضُ الجنودِ يظهرون مِن داخلِ الخيامِ ليشاهدوا ما سيحدثُ.

- «أحضر الجثةَ».

أمرَ قاسم، فلبَّى حسن بسرعةٍ، وأشارَ إلى بدر أن يدخلَ ويجرَّ الجثةَ إلى الخارجِ. ورغمَ أن الأخيرَ لمْ يُجِد التعاملَ مع الموتى، لمْ يستطع الرفضَ، وباشرَ بتنفيذِ الأمرِ.

-«انتظر!».

أوقفهُ محمد، ثم قالَ محدِّثًا قاسم: «أحضِر خالد؛ لقد سبقَ أن رأى جنودكَ الجثةَ ولكني لمْ أرَ صاحبي بعد».

ابتسم قاسم ابتسامةَ استهانةٍ بالطلبِ، وفكَّرَ:

- «حسنًا، حسنًا، أنا لا أعودُ في كلمتي؛ سيرجعُ صاحبكَ إليكَ حيًّا، سأحققُ أمنيتكَ الأخيرةَ قبلَ أن أبعثكما معًا في زيارة إلى الجنةِ أو النارِ، لا يهمُّ».

صاحَ قاسم: «حسنًا، أحضروهُ».

ذهبَ أحدُ مساعدي قاسم وعادَ سريعًا بخالد. كان خالد مربوطًا بحبلٍ حول بطنهِ ومكممًا بقطعةِ قماشٍ، وسارَ إلى الأمامِ بهمودٍ، دون أن يتأثَّر بضرباتِ المساعدِ لهُ، حتى رأى محمد، حينها تحوَّلَ سلوكهُ تمامًا، فأخذَ يحاولُ الكلامَ والصياحَ وتحريرَ نفسهِ، بوجهٍ ظهرَ عليهِ التأثُّرُ الشديدُ لقدومِ صديقهِ. ولكن في النهايةِ، أنزلهُ المساعدُ إلى ركبتيهِ، ودفعهُ إلى الأمامِ فسقطَ على وجههِ ولمْ يستطع الحركةَ.

قالَ قاسم: «ها هو صديقكَ، على قيدِ الحياةِ كما اتفقنا. سأسلمهُ بعد أن يستلمَ رجالي الجثةَ».

أشارَ قاسم إلى بدر، فتقدَّمَ دون مانع نحو العربةِ، وصعدَ إلى جزءها الخلفيّ ليُحضرَ الجثةَ، ولكن جميعَ مَن وقفوا سمعوا صرخةً بعدَ لحظةٍ.

أشهرَ قاسم سيفهُ، فسارعَ حسن بتهدئتهِ: «لا، لا! سيدي قاسم، اهدأ! الولدُ لا يجيدُ التعاملَ مع الجثثِ؛ إنهُ جديدٌ».

مناقضًا لكلِّ التوقعاتِ، ضحكَ قاسم قليلًا، وأعادَ سيفهُ إلى غمدهِ، وفي الحالِ شاركهُ آخرون الضحكَ.

أكملَ حسن وهو يتحرَّكُ: «في لحظةٍ! سأساعدهُ!».

ظلَّت عينان تراقبان مِن داخلِ ظلامِ العربةِ، عينان مِن أعين الأمواتِ.

وصلَ رسولُ قاسم إلى البوابةِ الشرقيةِ للقريةِ، فوقفَ عندها وصاحَ بأعلى صوتهِ: «يا رجال، أوامرٌ مِن السيدِ قاسم!».

نظرَ الجنديان مِن موقعهما على السورِ الخشبيّ المحيطِ بالقريةِ، وصاحا: «قلْ ما عندكَ!».

- «لا أستطيعُ... انزلا! الأخبارُ مهمةٌ!».

نظرَ الجنديان إلى بعضهما البعض في عدمِ مبالاةٍ وعدمِ تصديقٍ؛ فما الأخبارُ المهمةُ الآن بعدَ موتِ الأميرِ غيرَ نبأ العودةِ إلى الحصنِ، إلى الحياةِ المملةِ؟

- «ما الأمرُ الآن؟».

وقفَ الاثنان أمام الرسولِ الذي بدا متوترًا على غيرِ عادتهِ، ثم استمعا إلى الأوامرِ حتى شحبَ لونُ وجهيهما.

- «أنتَ تمزحُ، أليس كذلكَ؟».

- «دمكَ ثقيلٌ كالعادةِ».

لمْ يضحك الرسولُ، وقالَ: «نفّذا حالًا، وسينضمُّ كلُّ الجنودِ المتمركزين ببواباتِ القريةِ».

- «مستحيلٌ أن نفعلَ هذا! أليس كذلكَ يا صاحبي؟».

رددَ الجنديُّ الآخرُ وقالَ: «مَن نحنُ لنعلّقَ على أوامر السيدِ قاسم؟».

ردَّ الأولُ: «لا أصدّقُ أنكَ ستفعلُ هذا!».

- «فكّرْ في الأمرِ، ألمْ تسمع الحديثَ عن أن هذه القريةَ وكرٌ للجواسيسِ؟ حتى أن الأعداءَ عندما لجأوا، لجأوا إلى هنا... لا بدَّ أن شيخَ القريةِ والأعيانَ وافقوا السيدَ قاسم على هذا القرارِ لصالحِ ديمنتيا».

- «ولكن سفكُ الدماءِ البريئةِ...».

لمْ يُجِبْ أحدٌ.

برحيلِ الرسولِ ليخبرَ باقي الجنودِ، كان واقعٌ جديدٌ قد ارتسمَ: كان قاسم يستقبلُ جثةَ ليون، وكان شيخُ القريةِ والأعيانُ محتجزين بإحدى خيامِ المعسكرِ للضرورةِ، وكان في يدِ الجنودِ عند البوابةِ أمرٌ واحدٌ، وهو أن يحرقوا القريةَ بأكملها، دون أن يتركوا أيًّا مِن أهلها أحياءً.

الأميرُ، ثائرًا

اتجهَ الرامي حسن ليتفقدَ زميلهُ وليُخْرِجا جسدَ ليون مِن العربةِ، ولكن في منتصفِ الطريقِ بدأت خطواتهُ تثقلُ، وامتلأ قلبهُ بإحساسٍ لمْ يعهدهُ مِن قبل.

- «هل هذا صوتُ بدر؟ صوتهُ يتألمُ؟ لا، الصوتُ خافتٌ... كأنما آلةٌ صغيرةٌ تصدرُ صوتًا ما...».

وبعدَ الخطوةِ التاليةِ، ارتفعَ الغطاءُ الذي حجبَ الرؤيةَ عن مَن كان بداخلِ العربةِ قليلًا، وظهرَ رأسُ بدر، فاطمأنَّ حسن قليلًا، وأسرعَ الخطوَ للحظةٍ قبلَ أن يرى بدر يسقطُ إلى الأرضِ كأنما ليس بهِ حياة.

- «ما هذا؟!».

صاحَ حسن، وطارت بكلِّ أرجاءِ المكانِ كراتٌ سوداء صغيرةٌ، كما حدثَ بالضبطِ في إعدامِ ليون، كأنما هذه الكراتُ دائمًا أعلنت عودة ليون مِن الموتِ.

صاحَ قاسم: «ليسَ هذه المرةَ!»، ثم التفتَ إلى أحدِ مساعديهِ، وصاحَ: «أعطِ الإشارةَ للرماةِ!».

لقد تجهَّزَ قاسم للأسوءِ، بعكسِ رجالهِ المهملين؛ فجعلَ مِن عدةِ رماةٍ الكارتَ الخاصَ الذي يؤمِّنهُ مِن أيِّ مفاجآتٍ.

رفعَ أحدُ الجنودِ علمًا بالسماءِ، حتى يتجهزَ الرماةُ ويبدأوا الإطلاقَ، فأتت السهامُ سريعةً مِن جهةِ الغربِ، ولكن المفاجئ أن هذه السهامَ اصطادت الجنودَ بدلًا مِن العدوِّ. انطلقت تلك السهامُ بسرعةٍ

لا تُضاهى، واستقرَّت في رقابِ الجنودِ بين ذقونهم ودروعهم الحديديةِ، وحتى قاسم تقهقرَ أمامها.

ومِن السحابةِ الدخانيةِ بدأ شيءٌ ما يتحركُ...

- «أُقسمُ أن جثةَ الأميرِ وحدها كانت بالعربةِ!».

صاحَ حسن في فزع، ولكنهُ أخطأ؛ لمْ يكنْ ليون وحيدًا، فهو نفسهُ رأى غير ليون...

مِن سحابةِ الدخانِ التي غطت محمد والعربةَ، اندفعت أشباحٌ غريبةٌ إلى الأمامِ لتظهرَ أمامَ الجنودِ دمى خشبيةً تلبسُ ملابسَ البشرِ وتحملُ أسلحتهم. كانت هناكَ ثلاث دمى، الأولى حملت سيفًا كالسيفِ اليابانيّ ذي النصلِ الرفيعِ، الثانيةُ حملت سيفًا شبيهًا بالسيفِ المملوكيّ، والأخيرةُ حملت خنجرين. ولكن كيف تحركت الدمى؟ لمْ يعلمْ أحدٌ إلى أن سَدَّدت أُولاها ضربةً قويةً صدَّها قاسم بسيفهِ العريضِ، ودفعها إلى الوراءِ، حينها ظهرَ للجميعِ: لقد كانت الدمى متصلةً بخيوطٍ رفيعةٍ تلمعُ باللونِ الأخضرِ -لونَ الجيماتَيْتِ-.

بدأت تلك الدمى تقاتلُ الجنودَ، خاصةً قاسم، الذي ظلَّ مشغولًا بقتالِ هذا العدوِّ الذي لا يموتُ. وفي الوقتِ نفسهِ، استمرت السهامُ في القدومِ، واستمرَّ الجنودُ في محاولاتهم للعثورِ على الرامي.

- «لن يعثروا على السيدةِ نورة، أنا متأكدٌ...حسنًا، حان دوري لأقفَ بجانبِ السيدةِ ليَا».

فكَّرَ محمد وهو يُخرجُ سيفًا كان مثبتًا أسفلَ العربةِ، ثم عند مقدمةِ العربةِ، وجدَ ليون، فقالَ: «سيدي ليون، اعتمادي كلُّهُ عليكَ».

أومأ ليون، وفصـــلَ أحدَ الحصـــانين عن العربةِ، وقالَ: «وأنتَ أيضًا، لا تَمُتْ».

ركبَ ليون الحصـــانَ، وانطلقَ مع زوالِ آخرِ آثارِ الدخانِ، كأنهُ آخرُ مَن عـادَ إلى الحيـاةِ مِن الموتِ، ومرَّ وســطَ بعضِ الجنودِ الـذين ارتعبوا فقط لرؤيتهِ، ثم توقفَ لحظةً عند جسـدِ خالد -صـديقِ محمد- الملقى على الأرضِ.

- «لا تقلق؛ جئتُ لأنقذكَ».

همسَ ليون، وهو يفكُّ قيدَ خالد، ثم ركبَ الاثنان الحصانَ.

- «والله لن أسمحَ لكَ!».

رفعَ قاسـم سـيفهُ العريضَ ونزلَ بهِ على إحدى الدمى فتهشـمت تمامًا، وبذلكَ وجدَ فرصـةً لينسـحبَ، فتركَ أرضَ المعركةِ، آخذًا بلجامِ أحدِ أحصنةِ الجنودِ، وملاحقًا لليون.

- «كيفَ أوهمنا أنهُ ميّتٌ؟ كان يفترضُ أن ينتهي كلُّ شـيءٍ هنا... كيف خدعهم؟».

أخذ قاسم يفكّرُ بينما بدأ فرسهُ يُسرعُ إلى الأمامِ، متجاوزًا أرضَ النزاعِ والمعسـكرَ بأسـرهِ، إلى حيثُ ارتفعت أشـجارُ الغابةِ، إلى حيثُ فرَّ ليون وخالد.

وصـلت العربةُ التي حملت سـامح ودنيا وسـلمى الصـغيرةَ إلى التقاطعِ الرئيسـيِّ بالقريةِ. كان الطريقُ يتفرَّعُ إلى ثلاث طرقٍ: الأولُ يقودُ

إلى البابِ الجنوبيّ للقريةِ، الثاني إلى الشـــرقيّ، والأخيرُ -مقصـــدهم- إلى الشماليّ. ولمْ تكنْ غير تلك الطرقِ الثلاثةِ تسمحُ بمرورِ العرباتِ.

ســـارت العربةُ بهم وســـطَ هدوءٍ طويلٍ، إلى أن لمحَ أحدهم نُذُرَ شؤم.

- «ما هذا؟».

نظرَ سامح إلى اتجاهِ البوابةِ الشرقيةِ وأوقفَ العربةَ.

أجابت دنيا: «عمودُ دخان بالسماءِ... حريقٌ؟».

- «ويمكنُ أن يكونَ ليون ومَن معهُ قد وقعوا في مشكلةٍ كبيرةٍ...».

- «ألمْ تخبرني منذ لحظةٍ أنكَ تضعُ ثقةً عمياءَ في ليون؟».

نظرت دنيا متهمةً الرجلَ، ثم رفعت نظرتها إلى الســـماءِ ثانيةً: حقًا، كان الدخانُ مقلقًا، ولكنهُ لمْ يبدُ آتيًا مِن بعيدٍ جدًا.

سألَ سامح: «إذن، أنمضي؟».

- «أجل! ما مِن مشـــكلةٍ! ما مِن مشـــكلةٍ! علينا أن نقومَ بدورنا أولًا، كما أنه ليس بوسعنا الكثير».

لمْ تتحرك العربةُ لدقيقةٍ، ولما أوشكت على التحرُّكِ، جاءَ صوتُ أجراسٍ عاليةٍ، وتبعهُ صـــوتُ صـــراخ مِن بعيدٍ، وبمرورِ لحظةٍ أخرى، ظهرت أشباحُ أشخاصٍ يركضون مِن بعيد، أطفالًا ورجالًا ونساءً.

أوقفَ سامح رجلًا.

- «ما الأمرُ؟».

نظرَ الرجلُ إلى أعلى بعدَ أن كان نظرهُ مصـوَّبًا فقط إلى الأرضِ - حيث احتاجَ أن يأخذ الخطوةَ التالية ليركضَ-، ثم قالَ بهرع: «الجنودُ! لقد جنُّوا! البوابةُ أغلقوها، وبدأوا في إشـعالِ النيرانِ بالقرية! مَن يقفُ أمامهم يقتلونهُ!».

لمْ ينتظر الرجلُ سؤالَ سامح التالي وركضَ بعيدًا.

سألت دنيا: «هل يعني هذا أن قاسم اكتشفَ أمرنا؟».

- «ليس بالضرورةِ...».

في عقلهِ دارت أفكارٌ كثيرةٌ، ولكن في النهايةِ لمْ يؤمنْ سـامح إلا بواحدةٍ:

- «يحاولُ قاسـم إزالةَ آثارِ إخفاقهِ... وإزالةَ آثارِ أيّ خطرٍ محتملٍ... يريدُ إزالةَ القريةِ كأنما لمْ توجدْ. لا! إنهُ يريدُ شـيئًا آخرَ، كيف أهملتُ هذا؟! يريدُ جريمةً ليبررَ قتلهُ لليون وإراقةَ أيّ دماءٍ؛ فلا عقابَ سـيحلُّ بهِ إن اتهمَ ليون بالتحالفِ مع بعضِ أفرادِ المقاومةِ مِن ألسـندا وإحراقِ القريةِ... لن يحلَّ عقابٌ على الإطلاقِ، بل يمكنُ في هذه الحالةِ أن يُغفرَ لهُ قتلُ ليون كورقةِ مساومةٍ!».

قالَ سـامح: «اسـتعدِّي يا دنيا؛ لن يكونَ خروجنا من القريةِ سهلًا».

ظهرت أعمدةُ دخان مِن جهةِ الشـمالِ والجنوبِ، وازدادَ عددُ الهاربين، حتى ارتفعَ صوتٌ واضحٌ لهم، يحذِّرهم ويناديهم:

- «إلى بيوتِ الله! لن يقتلوكم ببيوتِ العبادةِ! إنهما ملجأنا!».

- «لقد جاءَ آخرُ السهامِ مِن هذه الأنحاءِ».

قالَ أحدُ الجنودِ هذه الكلماتِ عقبَ وصولِهِ إلى جزءٍ مِن الغابةِ شرقَ القريةِ، كان هذا الجزءُ مصدرَ السهامِ التي قبضت أرواحَ عدة جنودٍ، ولكن في هذه اللحظةِ توقَّف وابلُ السهامِ، وحلَّ هدوءٌ غير طبيعيٍّ.

- «ولكن أليست هذه المنطقةُ بعيدةً قليلًا عن المخيَّمِ؟».

- «أجل، كما أن الأشجارَ كثيفةٌ، فلا أظنُّ راميًا قادرًا على الإصابةِ مِن مِثلِ هذا المكا—».

سقطَ آخرُ مَن تحدَّثَ بسهمٍ اخترقَ جبينهُ.

- «مِن هناك!».

أسرعَ الجنودُ إلى مجموعةِ شجيراتٍ ظنوا أن السهمَ خرجَ منها، ولكن ثانيهم سقطَ بسهمٍ آخرَ مِن البقعةِ نفسها، وظلَّ الثالثُ الأخيرُ يركضُ ناحيةَ الشجيراتِ وهو يصيحُ، رافعًا سيفهُ، وجاهزًا لينزلَ بهِ على العدوِّ.

نزلَ السيفُ، ولمْ يقطعْ إلا الأغصانَ، وأحسَّ الجنديُّ بوجودِ كائنٍ ما خلفهُ بالضبطِ، ولكن قبلَ أن يلتفتَ، كان خنجرٌ قد أسكتهُ وأسكتَ سيفهُ إلى الأبدِ.

أعادت نورة الخنجرَ إلى غمدهِ الصغيرِ عند خصرها، واستعادت قوسها مِن بين الشجيراتِ، ثم حدَّثت نفسها: «سقطَ آخِرهم، والباقي لكِ يا لِيَا».

كان حســن وجنديٌّ آخَرُ آخِرَ الباقين مِن ضــمنِ الجنودِ الذين وقفوا لقتالِ دُمَى لِيَا بالمعســكرِ، وحولهم كانت آثارُ إراقةِ الدماءِ مخيفةً مقززةً، وأمامهم وقفت دميتان بلا حياةٍ، ووراء الدميتين لِيَا.

موَّجت الرياحُ شــعرَ لِيَا الأزرق الطويلَ الذي لمْ يعدْ مصـفـفًا في ضــفيرةٍ واحدةٍ، وتحركت الخيوطُ التي امتدَّت مِن الدميتين إلى بكراتٍ مثبَّتةٍ بمعصمي لِيَا.

تحدَّثت لِيَا ببرودها المعتادِ المصـحوبِ بنغمٍ حزينٍ: «إن بدأتما بالركضِ الآن فلن أسْلبكما حياتكما».

- «هاه! الموتُ أهونُ! ولكني لن أموتَ! ســأنتقمُ لكلِّ مَن ســقطَ! والآن!».

أمامَ صياحِ حسن، لم تستطعْ ليا إلا أن تتنهدَ.

أخذَ حسن يفكِّرُ:

- «لديَّ فرصةٌ، فرصةٌ لأعودَ منتصرًا إلى السيدِ قاسم، وحينها لن يوجدَ حائلٌ بيني وبين الهروبِ مِن هذا الجحيمِ... آســف يا بدر، واللهِ لمْ أخططْ أن أصحبَ غيركَ إلى المجدِ، ولكن بموتكَ...».

صاحَ حسن: «المجدُ لي وحدي!».

صــاحَ بأعلى صــوتهِ، ولكن ســيفهُ ســقطَ إلى الأرضِ، وتبعهُ إلى ركبتيهِ، ثم على وجههِ؛ لقد تحركت الدمية بســرعةٍ فائقةٍ وســددت ضربتها قبل أن يأخذ حسن خطوتين.

في آخرِ لحظاتهِ بهذا العالمِ الفاني، بعدَ أن طعنَ ســيفٌ قلبهُ، أحسَّ حسن بالدم يسيلُ، وتساءَلَ:

- «لماذا يا تُرى؟ لمْ يرُدْ أيٌّ منَّا هذه النتيجةَ... لا بدر، لا أنا...».

رمى آخِرُ جنديٍّ سيفهُ، وسقطَ إلى الأرضِ بجانبِ حسن يطلبُ الرحمةَ، ساجدًا أمامَ الدميتين.

أمسكَ حسن بيدِ الجنديِّ وقال: «مَن فعلَ هذا بنا... لدي عائلةٌ... يجبُ أن أعودَ لها».

حتى عند موتهِ، رفضَ حسن أن يرى الإجابةَ، وفي النهايةِ سقطَ وتساؤلاتهُ غير مجابةٍ.

- «اغربْ عن وجهي».

قالت لِيَا الكلمات بهدوءٍ، فقامَ الجنديُّ المتبقي، والتفَّ سريعًا، ثم ركضَ بلا هدفٍ، بلا بصرٍ، إلى حيث حملتهُ رِجلاهُ.

دون أن تكشِفَ نفسها، راقبت دنيا الجنودَ المتمركزين بالقربِ مِن البوابةِ الشمالية، ثم بخطواتٍ سريعةٍ وخفيفةٍ، عادت إلى حيث انتظرَ سامح.

- «كم عددهم؟».

-«خمسة».

- «ولكن ألا يعني ذلك أن معظم جنودِ قاسم بالقريةِ؟».

- «على ما يبدو».

بإجابةِ دنيا الأخيرةِ، سادَ الصمتُ لحظةً، وفكَّرَ الاثنان فيما يمكنُ فعلهُ. لقد توقفت العربةُ وأُخفيت عن الأنظارِ بين بيتين ليسا

بعيدين عن البوابةِ، حتى صـــارت أصـــواتُ النيرانِ التي التهمت البيوتَ الأقربَ مسموعةً. وكما حزَّرَ سامح، كان هناك خمسة جنود عند البوابةِ الشماليةِ، وخمسة آخرون عند البوابة الجنوبيةِ، واثنان عند الشرقيةِ؛ فكونوا نسبةً كبيرةً قاربت مِن نصفِ عدد جنودِ قاسم.

قالَ ســـامح: «آملُ أن بذلك تكونُ مهمةُ ليون والآخرين أســـهلَ... الآن، ماذا سنفعلُ؟».

- «أرى أن تهتمَّ فقط بالقيادةِ وتتركَ الباقي لي».

- «ولكن يا دنيا...».

- «لا لكن! لقد احتفظتُ بســـلاحي لهذه اللحظةِ، للحظةٍ يظهرُ فيها الأروعَ!».

غمزت دنيا عن ثقةٍ، وتركت ســـامح وســـلمى بالعربةِ لينتظرا رجوعها؛ لقد تقدمت لقتالِ الجنودِ وحدها.

انطلقَ حصـــانُ ليون يضـــربُ الأرضَ بحوافرهِ، ويقفزُ فوقَ الشجيراتِ، وعلى ظهرهِ تمسَّكَ خالد بليون.

- «ما زالَ وراءنا!».

نبَّهَ خالد ليون إلى الحقيقةِ الواضحةِ، فالتفتَّ ليون ولمحَ قاسم، ثم ظلَّ صامتًا لا يُبدِ ردًّا، منتظرًا ظهورَ نهايةِ الغابةِ.

- «إلى أين نتجهُ؟».

أجابَ ليون: «سترى في لحظةٍ».

في مرمى البصرِ، كما توقَّعَ ليون، اختفت أشجارُ الغابةِ، وبعد لحظةٍ أخرى وصلَ الحصانُ بهما إلى سهلٍ واسع امتدَّ مِن شمالِ الغابةِ إلى الأفقِ. ورغم أن قريةَ مشَّى كانت تقعُ عندَ ملتقى تلكَ الغابةِ مع السهلِ، لمْ يسمح توزيعُ الأشجارِ بأن يرى الاثنان غير أعمدةِ الدخان مِن بعيد.

- «ما الذي يحدثُ...؟ لا! هل بدأوا؟!».

صاح خالد بينما انطلقَ الحصانُ حرًّا في السهلِ الواسعِ، لا يعترضُ طريقهُ إلا صخورٌ حمراءُ ظهرت كل حين وحين.

وراءَ الاثنان قفزَ حصانُ قاسم خارجَ الغابةِ، وأخذَ يسرعُ مِن جديد.

- «قد نستطيعُ الهربَ الآن؛ الفارقُ اتَّسعَ!».

امتلأ قلبُ خالد بالأملِ، غير أن ليون أوقفَ الحصانَ.

- «ما الأمرُ؟».

أجابَ ليون: «ابقَ مع الحصانِ هنا».

دون زيادةِ كلمةٍ، خطا ليون بثقةٍ تجاهَ حصانِ قاسم المتقدِّمِ. وبينما الرياحُ تحرِّكُ شعرهُ ليتمايلَ تحتَ سماءِ الغروبِ القرمزيةِ، رفعَ ليون سيفهُ عاليًا أمامهُ، حتى صارَ مرئيًّا لقاسم. وتدريجيًّا، توقَّفَ حصانُ قاسم، ونزلَ الأخيرُ مِن عليهِ، رافعًا سيفهُ هو الآخرُ ومبتسمًا بثغرٍ واسع، حتى ازدادت ابتسامتهُ مِن بروزِ أنفهِ المدببِ.

تحدَّثَ قاسم: «لا أصدِّقُ كم تفاجئني أيها الأمير! ولكن، هذه نهايةُ مَسْعاكَ».

- «بل البدايةُ، أيها القاتل».

- «قاتل؟ وماذا تدعو نفسكَ ومَن معكَ؟ الملائكة؟ في الحربِ لا قاتل ولا مقتول، ولا سائل ولا مُساءَل!».

- «لأجلِ ألسندا وعزةِ جيشها وشعبها».

- «لأجلِ ديمنتيا وغزةِ جيشها وشعبها».

رَفْعُ السيفِ كان مِن التقاليدِ القليلةِ المتبعةِ في ألسندا وكذلكَ ديمنتيا، وكان يدلُّ على تحدِّي الفاعلِ أحدَهم إلى نزالٍ، رجلًا لرجلٍ، بلا سلاح غير السيفِ المرفوعِ، فإن قبلَ المتحدَّى، رفعَ سيفهُ هو الآخر.

رفعَ قاسم الجرَّاح سيفهُ العريضَ، صاحبَ نصلٍ في عرضِ الكفِّ، مزيَّنًا بعروقٍ خضراء امتدت عليهِ كما تمتدُّ العروقُ في ذراعِ الإنسانِ. ولمعت تلكَ العروقُ باللون الأخضرِ للجيماتَيْتِ، منذرةً أن سلاحَ قاسم لمْ يكنْ عاديًّا...

أنذرَ السيفُ، ولكن حتى بدونهِ، ظلَّ قاسم عدوًّا مرعبًا؛ فلقد كان هو الذي أسقطَ سهمَ نورة، الذي سُدِّدَ إليهِ في حصنِ ندفة الثلجِ، بضربةٍ واحدةٍ مِن هذا السيفِ... اصطادَ السهمَ وهو في الهواءِ... ومِثلُ هذا الفعلِ لمْ يكنْ عاديًّا على الإطلاقِ.

هبَّت الرياحُ، اقتربت شمسُ المغيبِ أكثرَ مِن الأفقِ، وسكنَ الكونُ.

وقفَ ليون وقاسم الجرَّاح وجهًا لوجهٍ.

الأميرُ، رجلًا لرجلٍ

ركضَ حيوانٌ صغيرٌ يشبهُ القطةَ في الطريقِ المؤدّي إلى البوابةِ الشماليةِ لقريةِ مشّى، ركضَ على أقدامهِ الخلفيةِ فقط بينما حملَ بأقدامهِ الأماميةِ صندوقًا أسود صغيرًا، تماشى في لونهِ مع لونِ المنطقةِ المحيطةِ بعيني الحيوان. وظلَّ يسرعُ دون أن يلاحظهُ أحدٌ، حتى مرَّ بأولِ خمسةِ الجنودِ المتمركزين بالقربِ مِن البوابةِ. نظرَ لحظةً إلى الجنديّ وهو يشعلُ النيرانَ في أحدِ البيوتِ، ثم أكملَ ركضهُ المضحكَ المصاحبَ بعدمِ الاتزان.

كان أربعة الجنودِ المتبقين متمركزين كالآتي: اثنان وقفا على بعدِ عدةِ أمتارٍ مِن البوابةِ، واثنان على السورِ الخشبيّ فوقَ البوابةِ.

لاحظَ أحدُ الاثنين الذين كانا على السورِ الحيوانَ، فبدأ الحديثُ:

- «ما هذا الشيءُ؟ انظر إليهما لا يريانه وهو يمرُّ».

ضحكَ الجنديُّ مِن زميليهِ الذين شُغلا بما يحدُثُ حولهما ولمْ يلاحظا تقدُّمَ الحيوانِ، وجذبَ انتباهَ زميلهِ الواقفِ على السورِ، فشاركهُ الضحكَ وقالَ:

- «على ما أظنُّ -إن كان النظرُ قد أسعفني- هذا راكون».

- «ما الذي يحملهُ؟».

- «لا أعلمُ. في الغالبِ سرقَ بعضَ الطعامِ ويريدُ الهربَ بالغنيمةِ، ولكن لينسَ؛ لن تُفتحَ البوابةُ».

وصلَ الراكون إلى البوابةِ، فوضعَ الصندوقَ الأسودَ عندها، ثم ضغطَ قطعةً خشبيةً برزت مِن إحدى جوانبهِ، وفي الحالِ انطلقَ عائدًا على أربع أقدامهِ.

ضحكَ أحدُ الجنديين على السورِ وقال: «ها هو يعودُ مِن حيث أتى!».

بعدَ ثوانٍ من انطلاقِ الراكونِ عائدًا، بدأ الصندوقُ الأسودُ في الاهتزازِ قليلًا، وفجأةً بعد صوتٍ أشبهَ بالصاعقةِ، شعرَ الجنودُ على البوابةِ بهزةٍ شديدةٍ، وبدأ السورُ في السقوطِ بهم وسطَ ارتفاعِ دخان؛ لقد فجَّرَ الصندوقُ البوابةَ؛ لقد كان قنبلةً!

في ذات لحظةِ الانفجارِ، انطلقت دنيا بخنجرها، فمرَّت بالجنودِ الثلاثةِ الباقين، وأسقطتهم واحدًا تلو الآخر، مستغلةً تفاجأهم مِن الانفجارِ. وبسقوطِ آخِرهم، وقفت دنيا تنتظرُ الراكون، حتى وصلَ إليها، فنزلت إلى ركبتيها ومدَّت إليهِ يدها بالبندقِ وهي تبتسمُ قائلةً: «أحسنتَ يا ألْبِرْت! ستظلُّ دائمًا سلاحي السريَّ».

أعادَ الحيوانُ الابتسامةَ، وبدأ يلتهمُ جائزتهُ سريعًا.

بعد دقائق، قادَ سامح العربةَ بالطريقِ؛ فلمْ يعدْ هناكَ عائقٌ أمامَ خروجهم مِن القريةِ.

- «حقًا يا لكثرةِ المشاكلِ التي سببتها لي أيها الأمير، ولكن عليَّ أن أعترفَ أنكَ لستَ كما يُشاعُ عنكَ».

أجابَ ليون: «وأنا أستطيعُ قولَ نفسِ الشيءِ عنكَ».

- «لستَ الجبانَ المستخذي كما يدَّعون».

- «لستَ القائدَ العظيمَ كما يدَّعون».

ابتسمَ قاسم الجراح ثانيةً، وأنزلَ سيفهُ إلى مستوى صدرهِ، وأمسكهُ بيديهِ الاثنتين، ثم قالَ: «لا أعلمُ كيفَ أقنعتَ رجالي بأنكَ ميّتٌ، ولا أعلمُ كيف هربتَ مِن إعدامكَ هكذا، ولكني أعلمُ أن نهايتكَ ستكونُ هنا، على يدي! دُورَنْدَال -سيفي- سيهتمُّ برقبتكَ كما اهتمَّ برقبةِ أبيكَ!».

أمسكَ ليون بسيفهِ بقبضةٍ قويةٍ ثابتةٍ، ولمْ يُضِفْ كلمةً.

ظلَّ خالد ممسكًا بالحصانِ يراقبُ مُنقذهُ وهو على وشكِ دخولِ النزالِ، وأخذَ يدعو أن ينتهي كلُّ شيءٍ على خيرٍ. وأخذت كلماتُ الدعاءِ تتسارعُ، مع بدايةِ تقدّمِ قاسم البطيءِ بخطواتٍ قصيرةٍ ثابتةٍ.

- «لمجدِ الإمبراطوريةِ!».

رفعَ قاسم سيفهُ دورندال، فأخذَ يبرقُ بعروقهِ الخضراء، ثم تسارعت خطواتهُ حتى صارَ ليون أمامهُ مباشرةً، فنزلَ بدورندال بقوةٍ هائلةٍ اعترضها ليون بسيفهِ العاديّ.

ثبتَ ليون بصلابةٍ أمامَ قاسم، فابتسمَ الأخيرُ وقالَ: «ما الذي تحاربُ لأجلهِ أيها الأمير؟ أظنُّ أن كلَّ شيءٍ انتهى منذ ذلكَ اليومِ، بالقصرِ».

لمْ يفقدْ ليون تركيزهُ، بل جمعَ القوةَ الكافيةَ ليردَّ دورندال ويسددَ ضربةً سريعةً بسيفهِ الأخفّ وزنًا، فأوشكَ أن يصيبَ وجهَ قاسم مباشرةً، لولا أن سيفهُ مرَّ ولمْ يتركْ إلا جرحًا سطحيًّا.

عادَ قاسم ليباشرَ بالهجومِ وهو يقولُ: «لا بأسَ بمهاراتكَ؛ يا ليتكَ كنتَ بأرضِ المعركةِ مع أبيكَ! لكنتُ استمتعتُ أكثرَ! لقد كانت صرخةُ موتهِ مميزةً، وألمها كان واضحًا؛ فماذا عن صرختكَ؟ يا ترى كيف ستكونُ؟!».

أسرعَ قاسم يسددُ ضرباتٍ متتاليةٍ، وتراجعَ ليون بخطواتٍ منافسةٍ في السرعةِ، وتلقى بسيفهِ ضرباتِ قاسم التي ازدادت في حدتها وقوتها كل لحظةٍ.

- «لا أستطيعُ أن أظلَّ على هذا النمطِ! يجبُ أن أهاجمَ... ولكن السلاحين ليسا في ذات المستوى».

فكَّرَ ليون وهو يتراجعُ، ولكن الوقتَ لمْ يسمحْ لهُ بالعثورِ على إجابةٍ، بل تركهُ أمامَ معضلةٍ أكبر أتت في اللحظةِ التاليةِ:

أرجحَ قاسم دورندالَ مِن اليمينِ إلى اليسارِ، فتفادى ليون الضربةَ؛ ثم مِن اليسار إلى اليمين، فتراجعَ ليون خطوةً أخرى؛ ثم أتت ضربةٌ مِن السماءِ تجاهَ الأرضِ، فلمْ يستطعْ ليون إلا أن يضعَ سيفهُ في طريقها. ومع تلكَ الضربةِ الأخيرة، أتى ذلك الصوتُ الذي ذعرَ خالد وأحبطَ ليون: تكسَّرَ سيفُ ليون إلى جزئين، فسقطَ طرفُ السيفِ، وظلَّت بقيتهُ مع المقبضِ -سيفًا مكسورًا قصيرًا- في يدِ ليون.

نظرَ قاسم بثقةِ النصرِ، وقالَ مستبعدًا: «لا تقل لي أني سأرى حلقةً أخرى مِن حلقاتِ هروبكَ. هل معكَ كراتُ الدخانِ التي ترميها كلَّ مرةٍ؟ هل ستهربُ مِن أمامي؟».

كانَ الهربُ مِن النزالِ عارًا يلاحقُ صاحبهُ طوالَ الحياةِ، فماذا كان أمامَ ليون؟

شدَّ ليون بقبضتهِ على السيفِ المكسورِ، وقالَ: «لا، لن أهربَ بعد الآن».

- «مرةً أخرى تفاجئني... إذًا، أوصلْ تحيَّاتي إلى الملكِ!».

تقدَّمَ قاسم ورفعَ دورندال، ثم سددهُ تجاهَ ليون، ولكن ليون تحرَّكَ سريعًا، متفاديًا، ثم عادَ قاسم ليحاولَ ثانيةً فتفادى ليون ثانيةً؛ لقد كان دورندال سيفًا ثقيلًا، ومِن النزالِ تمكَّنَ ليون مِن أن يحسبَ تقريبًا الوقتَ الذي احتاجهُ قاسم بعدَ كلِّ ضربةٍ ليسددَ الأخرى، وبعدَ تحطِّمِ سيفهِ، وظَّفَ ليون المعلوماتِ التي جمعها في تفادي الضرباتِ والبحثِ عن فرصةٍ للهجومِ.

وجاءت تلكَ الفرصةُ!

بعدَ أن تفادى ليون ضربةً مِن دورندال، انطلقَ إلى الأمامِ مباشرةً فصارَ أمامَ وجهِ قاسم، فسددَ إليهِ لكمةً شديدةً في الوجهِ.

- «فعلتها الآن أيها الـ——».

سددَ ليون لكمةً أخرى، ولكن اللكماتِ لمْ تُزدْ قاسم إلا غضبًا.

- «يجبُ أن أعثرَ على ثغرةٍ أكبر في تحركاتهِ، إن فعلتُ ذلكَ، لن أحتاجَ لأن ألكمَ بل سيمكنني بهذا السيفِ المكسورِ أن أقتلهُ».

كان ليون يلكمُ بيدهِ اليسرى ويستخدمُ السيفَ المكسورَ بيدهِ اليمنى في صدِّ دورندال، ولكن إن حصلَ على الفرصةِ المناسبةِ، سيفلتُ مِن دورندال وسيستطيعُ غرزَ سيفهِ المكسورِ في الفروقِ بين درعِ قاسم الحديديّ.

- «توقَّف عن الحركةِ!».

ازدادَ غضبُ قاسم، وفي هذا الغضبِ بدأت ضرباتهُ تصيرُ أكثرَ قوةً وأقلَّ اتزانًا.

- *«هذه هي اللحظةُ المناسبةُ!»*.

قالَ ليون الكلمات لنفسهِ، وتقدَّمَ في اللحظةِ المناسبةِ لينهي النزالَ، ولكن...

تفاجأ ليون بدورندال يتحرَّكُ أسرعَ مِن الطبيعيّ ويقتربُ مِن جسدهِ، فإن أصابهُ فقدَ كلَّ الأملِ في النصرِ؛ ولذلك، استدارَ، وبردةِ فعلٍ سريعةٍ وضعَ مقبضَ سيفهِ وما بقي مِن نصلهِ في طريقِ دورندال. هكذا ردَّ ليون الضربةَ، ولكنهُ حينها فقدَ اتزانهُ وسقطَ إلى الوراءِ، فالتوت قدمهُ اليسرى.

لمْ يستطع ليون أن يقومَ مِن مكانهِ، فتراجعَ على الأرضِ، بسيفهِ المكسورِ بيدهِ وبآخرِ آمالهِ في النصرِ تتلاشى، أثناء تقدَّمِ قاسم نحوهُ.

- «هذه نهايةُ اللعبةِ أيها الأمير».

وقفَ قاسم عند رجلي ليون، وغيَّرَ مسكتهُ لدورندال ليصيرَ مستعدًا لطعنِ ليون في صدرهِ.

لقد كان ليون في موقفٍ ميئوسٍ منهُ، ولكنهُ نظرَ إلى أعلى لعلهُ يعثرُ على فرصـــةٍ، وحينها، خطفَ بريقُ دورندال الأخضـــر عينيهِ، وفي لحظةٍ اختفت صورةُ قاسم مِن أمامهِ، ورأى مشهدًا مختلفًا تمامًا؛ أخذهُ بريقُ السيفِ بعيدًا عن السهلِ وشمسِ المغيبِ، بعيدًا عن النزالِ وصياحِ خالد، إلى ظلامٍ لم يرَ فيهِ شيئًا.

- «أريدُ لقاءكَ... متى تأتي؟».

سـمعَ ليون صـوتَ فتاةٍ وسـطَ الظلام، كان صـوتها عذبًا مليئًا بالشـغفِ، وحين اختفى بدأت صورةٌ تتشكلُ في الظلامِ: كان هناك كهفٌ عملاقٌ تسـيلُ المياهُ مِن سـقفهِ إلى بحيرةٍ في الأسـفلِ، وكانت هناكَ جزيرة في وسـطِ البحيرةِ، لا يصـلها بالبرِّ إلا طريقٌ واحدٌ ضـيقٌ. ووسـطَ الجزيرةِ ارتفعت شـجرةٌ عملاقة كالأشـجارِ التي تعيشُ آلافَ السـنين، وحولها انتشـرَ عشـبٌ أخضـر جميلٌ. أما عن الضـوءِ الذي أنار الكهفَ، فكان ضوءَ بلورات وألماس لمعَ بنفسِ خَضَارِ أوراقِ الشجرةِ العملاقةِ.

اقتربَ ليون ببصـرهِ قليلًا قليلًا مِن الجزيرةِ، حتى رأى عليها فتاةً تماثلهُ في العمرِ تجلسُ تحت الشجرةِ. كان لها شعرٌ أخضر يماثلُ في لونهِ ما أحاطَ بها، وكان لونُ عينيها هو لونُ الألماسِ، وارتدت ثوبًا أبيض ناصعًا لونهُ لونُ بشرتها الناعمةِ.

أمالت تلكَ الفتاةُ رأسـها قليلًا، وقالت وهي تنظرُ إلى ليون مباشـرةً: «على هذا المنوالِ لن أراكَ، على هذا المنوالِ سـتسـقطُ هنا ولن تقومَ أبدًا... ولكن لا يمكنني أن أسمحَ بذلكَ إلى أن نتقابلَ».

لمْ يجدْ ليون نفسهُ يسألُ إلا سؤالًا واحدًا، خرجَ كأنما لا تحكُّمَ لهُ في لسانهِ: «لماذا؟».

- «لأني أحبكَ».

اختفى كلُّ ما رآهُ ليون في ضوءٍ عظيمٍ، ورأى أمامهُ دورندال ثانيةً وقد ضربَ الأرضَ بدلًا منهُ؛ وجدَ ليون نفسهُ واقفًا مِن جديد.

صاحَ قاسم: «حركاتُ القردةِ هذه لن تنفعكَ طويلًا!».

لقد تحرَّكَ ليون ودهسَ على قدمهِ التي آلمتهُ... هل كلُّ ما فعلَ كان ردَّ فعلٍ طبيعيٍّ؟ لمْ يعلمْ بالضبطِ؛ فقد كان كمن فقدَ الوعي لحظةً وعادَ مرةً أخرى إلى الحياةِ، ولكنهُ وثقَ أن هذه اللحظةَ كانت فرصةً يجبُ أن يستغلها الآن وهنا، وإلا بطُلت وراحت.

- *«الآن يمكنني!»*.

بفكرةٍ جديدةٍ، وقفَ ليون وسيفهُ المكسورُ بيدهِ. أخرجَ قاسم دورندال مِن الأرضِ، والتفَّ ليسددَ ضربةً أخرى، ولكن ليون تراجعَ خطوةً فنزلَ دورندال تجاهَ الأرضِ، وحينها دهسَ ليون على دورندال العريضِ بقدمهِ اليمنى، وأرغمَ قاسم على الإنحناءِ إلى الأمامِ حتى لا يقعَ دورندال مِن يدهِ، ثم وثبَ مِن على السيفِ ليتجاوزَ جسدَ قاسم العملاق مِن فوق.

- «لن يحدُثَ!».

بكلماتهِ شجَّعَ قاسم نفسهُ، والتفَّ ليقطعَ ليون الواقفَ خلفهُ نصفين، ولكن...

- «*ماذا؟! لا يمكنُ... هل...*».

لمْ يجدْ قاسم ليون، فلمْ يُصِبْ شيئًا، ولكنهُ أحسَّ بأحدٍ خلفهُ.

- «لقد توقَّعَ هجومي وتحرَّكَ عكسي!».

أدركَ قاسم الحقيقة، ولكن بعد فوات الأوان؛ لمْ يستطع الوصولَ إلى ليون في الوقتِ المناسبِ، فكان الآن ليون مواجهًا لظهرِهِ، ولمْ يكنْ هناكَ شكٌّ أن الأميرَ سريعَ الحركةِ سينهي النزالَ، هنا والآن!

قبل أن يتحرَّكَ قاسم حركةً أخرى، غرزَ ليون سيفهُ المكسورَ في ظهرِهِ، تحتَ رقبتهِ مباشرةً؛ فلمْ يلبث على قدميهِ وسقطَ إلى الأمامِ على وجهِهِ.

نظرَ ليون إلى جسدِ قاسم العملاق وقد همدَ على الأرضِ، وتذكَّرَ حين رأى بالحصنِ رأسَ والدهِ الصالح مثبتةً برمح. حتى الآن لمْ يسعدهُ الانتقامُ الذي أرادهُ؛ فحتى الآن لمْ تتغيرْ صورةُ أبيهِ في ذهنهِ، ولمْ يخِفَّ ما حلَّ بعائلتهِ. جاءتهُ فكرةُ أن يأخذَ رأسَ قاسم كما فُعِلَ برأسِ أبيهِ، ولكنهُ تجاهلها فورًا، واكتفى بأخذِ دورندال مِن يدِ قاسم الباردةِ.

ركبَ ليون حصانَ قاسم.

- «حمدًا لله على النصرِ... ولكن هناكَ أمرٌ آخرُ!».

أسرعَ خالد تجاهَ ليون بعدَ أن انتهى النزالُ، وصاحَ بتلك الكلماتِ، ثم أضافَ وهو أمام ليون مباشرةً: «لقد سمعتُ الجنودَ يقولون بأنَّ قاسم أصدرَ أمرًا بحرقِ القريةِ كلها... حتى أنا ومحمد، خطط لقتلنا عندما نُسلمكَ إليهم».

أشارَ ليون إلى جسدِ قاسم وقال: «لن أستطيعَ أن أساعدكما أكثر مما ساعدتُ. خذ الجسدَ وعُدْ إلى مشَّى؛ فقد يعدِلُ الجنودُ عن أفعالهم إن رأوا قائدهم ميّتًا... لا دخلَ لي إن أرادَ أهلُ ديمنتيا قتلَ بعضهم البعض».

أومأ خالد وقادَ الحصانَ الآخرَ إلى حيثُ كانت جثةُ قاسم، فحملها بصعوبةٍ، ووضعها على ظهرِ الحصانِ.

قالَ ليون: «هيَّا؛ طريقكَ طريقي إلى أن نصلَ إلى البوابةِ الشماليةِ».

ضربَ ليون حصانهُ بقدميهِ، وانطلقَ بهِ، يفكِّرُ: «قدمي لا تؤلمني على الإطلاق...».

الأميرُ، نحو المستقبلِ إلى أن يأتي الفجرُ

- «ما الذي حدثَ هنا؟».

توقَّفَ خالد مذهولًا بالقربِ مِن البوابةِ الشماليةِ لقريةِ مشَّى. مع قدومِ الليلِ أتى هواءٌ باردٌ مِن ناحيةِ الجبلِ، وتشكَّلَ الضبابُ العاديُّ في هذه الأنحاءِ، فغلَّفَ الغابةَ عن الأنظارِ وكشفَ فقط أجزاءً مِن القريةِ. ووقفَ خالد يرى أعمدةَ الدخانِ صاعدةً إلى السماءِ السوداءِ ولا يسمعُ صوتَ حياةٍ، فقط صوتَ التهامِ النيرانِ لما تبقى مِن المباني وصوتَ سقوطِ أساساتها.

- «هل حرقوها وانتهى الأمرُ؟».

سألَ خالد، ولكن ليون لمْ يستطع الإجابةَ.

- «هل تأخَّرتُ؟».

قالَ ليون: «لن تعلمَ إلا إذا تفقَّدتَ المكانَ، قد يكونُ هناكَ ناجون».

-«حسنًا».

- «إذًا، سأذهبُ أنا؛ عليَّ اللحاقُ بالعربةِ».

- «شكرًا لكَ على كلِّ ما فعلتَ، حقًا، لقد أنقذتَ حياتي».

- «لا تشكرني».

أجابَ ليون وهو مؤمنٌ بأنهُ لا يستحقُّ هذا الشكرَ؛ فلو أن محمد لمْ يترجهُ، ولو أن هدفهُ لمْ يتماشَ مع إنقاذِ خالد، لما أقدمَ على مِثْلِ هذا الفعلِ.

قالَ ليون: «احترس في تحركاتكَ؛ فقد يهاجمكَ الجنودُ بالقريةِ».

أومأ خالد، والتفَّ بالحصانِ، وأوشكَ على الإنطلاقِ ناحية القريةِ، ولكن ليون أوقفهُ بقولهِ: «انتظر، إن سألني محمد عنكَ...».

- «أعطِهِ هذه. قل لهُ أني أرسلها هديةً، وأني حيٌّ».

مدَّ خالد يدهُ بساعةٍ ذهبيةٍ صغيرةٍ، واستلمها ليون، ثم افترقَ الاثنان، فاتجهَ خالد إلى القريةِ بينما انطلقَ ليون في الجهةِ المعاكسةِ، تابعًا الطريقَ ليلحقَ بالعربةِ والباقين.

وبعدَ أن ركضَ الحصانُ فترةً قصيرةً، لاحت في الأفقِ، تحتَ السماءِ الصافيةِ والنجومِ، العربةُ التي قادها محمد، وظهرت ثلاثة أحصنة تسير بجانبها. وباقترابهِ أكثر، وجدَ ليون نورة وليَا ومحمد على ظهرِ ثلاثةِ الأحصنة، ووجدَ على وجوههم ابتساماتٍ عريضة حالما رأوهُ، فاطمأنَّ أن كلَّ شيءٍ على ما يرام.

- «لقد تأخرتَ!».

صاحت بهِ نورة فجأةً عندما رأتهُ، ثم نزلت برأسها تجاهَ ظهرِ حصانها فتقريبًا نامت فوقهُ، وقالت: «تتباطأ، وفي النهايةِ نحن نقلقُ».

- «ما أمرها؟».

سألَ ليون، فأجابت دنيا: «لا مشكلة؛ نورة... عندما تنتهي المهمةُ تصيرُ هكذا... حقًا إنها كالطفلةِ!».

ردَّ ليون: «لا أستطيعُ تقبُّلَ الكلامِ وهو يأتي منكِ أنتِ».

- «هل تقصدُ أني طفلةٌ؟! ستدفعُ ثمنَ الكلمةِ! سيتحدثون عن المنقذةِ التي قتلت مَن وَجبَ إنقاذهُ!».

ضحكَ ليون ضحكةً خافتةً وسارَ بجانبِ دنيا بحصانهِ، ثم جاءَ محمد ليضيفَ جزءًا مِن الجديةِ إلى الحديثِ، متسائلًا: «هل خالد بخيرٍ؟».

أومأ ليون، ثم قالَ: «عادَ إلى القريةِ ليتفقدَ أمرها».

- «لأن لهُ عائلة تنتظرهُ».

لمْ يعلمْ ليون هل رأى محمد ما حلَّ بالقريةِ أم لا، فلمْ يستطعْ أن يعلِّقَ، وقالَ: «لقد تركَ لكَ هذه».

أخذَ محمد الساعةَ، ولمْ يُبدِ ردَّ فعلٍ.

سألت دنيا: «لا بدَّ أن الساعةَ مميزةٌ، أليس كذلكَ؟».

- «لا أعلمُ».

- «حقًا؟ وأنتَ صديقهُ المقرَّبُ؟».

ابتسمَ محمد وقالَ: «ربما كذبتُ عندما قلتُ أنهُ مقرَّبٌ... لستُ مِن هذه الأنحاءِ؛ فأنا مِن غربِ البلادِ، لقد انتقلتُ للعيشِ هنا مع بنتي منذ عدةِ شهورٍ، ومنذ انتقالنا، لمْ يكنْ هناكَ رجل أطيب مِن خالد. مع أن بقيةَ القريةِ تحفَّظت منا لأننا غرباءُ، عاملنا خالد كأنما يعرفنا منذ

سنين؛ لذلكَ، أردتُ في النهايةِ، على الأقلِّ، ألا أتسببَ بضررٍ لجاري الذي عاملني بمثلِ هذه الطيبةِ... كل ما فعلتهُ كانَ تصحيحَ خطأ، ولا أدري... قد يعودُ ولا يجدُ عائلتهُ فأكونُ قد ضررتهُ».

جاءَ صوتُ سامح مِن العربةِ: «ما فعلتَ هو ما يُدعى (المروءة)».

ضحكت دنيا وقالت: «أيها العجوز، كنتَ تتنصتُ!».

- «مَن تنعتين بالعجوزِ؟!».

سلَّمَ ليون على سامح، ورأى سلمى الصغيرةَ -بنتَ محمد- نائمةً بجانبهِ، فتذكَّرَ وسألَ: «وهل قررتَ يا محمد أين ستتجهان الآن؟».

تكلَّمَ محمد بترددٍ: «أجل...».

قاطعهُ سامح قائلًا: «لقد قررتُ تعيينَ طبَّاخ جديدٍ عندي، طباخ يتخصصُ في وضعِ السمِّ كمكونٍ أساسيٍّ للوجباتِ».

ضحكَ الجميعُ إلا محمد الذي شعرَ بقليلٍ مِن تأنيبِ الضميرِ إلى أن أخبرهُ سامح بأنهُ يمزحُ.

وكما بدأ الضحكُ عادَ الهدوءُ، وشعرَ ليون بشيءٍ مِن الدفءِ لأن الجميعَ استقبلهُ بمثلِ هذا الترحابِ والابتسامِ، ثم أُخبِرَ بأن القافلةَ الصغيرةَ ستظلُّ على سفرها إلى أن تعبُرَ الحدودَ وتصلَ إلى أولِ قريةٍ في ألسندا، كما قالَ سامح:

- «سنسيرُ إلى أن نصلَ إلى قريةِ دِنْت، وهناكَ سأُطلعكَ على كلِّ شيءٍ. المهمُّ الآن هو أن نصلَ إلى الأمانِ النسبيِّ».

وهو يسيرُ في الطريقِ الممتدِّ مع امتدادِ السهلِ الأخضرِ في تلك الليلةِ، تذكَّرَ ليون قليلًا رحلاتِ الصيدِ التي خرجَ فيها مع أصدقاءِهِ وخادمهِ الخاصِّ، وقتها تعرفَ على هذه الطبيعةِ ولكن بوجهٍ آخر، بوجهٍ أمدَّهُ بالمتعةِ وهو يصطادُ الحيواناتِ البريَّة ويتنافسُ في أساليبِ السيفِ والقوسِ والسهمِ، مع الأصدقاءِ المقربين مِن العائلةِ الملكيةِ.

-«قائد!».

أعادَ صوتُ دنيا ليون إلى الوقتِ الحاضرِ، فنظرَ إليها وسألَ: «قائد؟».

أجابت دنيا: «قررتُ مناداتكَ هكذا مِن الآن، ألستَ أنتَ القائدَ؟».

- «ربما كما تقولين... هل هذا يعني أني اكتسبتُ احترامكِ كشخصٍ مناسبٍ للقيادةِ؟».

- «لا أريدُ أن أجعلَ منكَ متفاخرًا، ولكن أجل... كنا نظنُّ أنكَ...أا... شخصٌ مختلفٌ، ولكن في النهايةِ، لا بأسَ بالخطةِ التي وضعتها. كما أني أرى سيفًا جديدًا معكَ».

أشارت دنيا إلى دورندال مهنئةً، ثم قالت: «ولكن عندي اعتراضٌ كبيرٌ!».

ضحكَ ليون وسألَ: «وهو؟».

- «لمْ تُشركني في أيِّ شيءٍ! حتى الآن، مع أني واحدةٌ منكم، لمْ يخبرني أحدٌ بالتفاصيل! لا أعلمُ إلا أنهُ كان عليَّ أن أهاجمَ الراميين إذا أرادا تفقُّدَ جثثنا!».

-«حقًا؟».

- «أجل! لقد تكلمتَ بسرعةٍ مع البقيةِ في ساعتها، وتركتموني ألعبُ مع سلمى! وسامح العجوزُ -أجل، أقول عجوزًا- رفضَ أن يخبرني بشيءٍ. أولًا، كيفَ متَّ؟ أو كيف أقنعتهم بذلكَ؟».

أجابَ ليون بسؤالٍ: «إذا ماتَ شخصٌ بلا جروح، كيف يتفقدُ الآخرون موتهُ؟».

- «لا تُجِبني بألغازٍ! أنا وحدي يسمحُ لي بالإجابةِ بها!».

- «نبضُ القلبِ».

-«النبضُ؟».

- «أجل، يمكنُ لأيّ أحدٍ أن يتفقدَ النبضَ عند معصمِ الإنسانِ ويتأكدَ مِن موتهِ».

ضحكت دنيا وقالت: «وأنتَ أوقفتَ نبضكَ؟».

قال ليون: «بالضبطِ».

-«كيف؟».

-«بهذه».

أخرجَ ليون كرةً مطاطيةً صغيرةً مِن جيبهِ، وقال: «أمانةٌ يجبُ أن أعيدها إلى سلمى. هذه الخدعةُ يمكنُ لأيّ أحدٍ أن يقومَ بها. عندما رأيتُكِ تلعبين مع سلمى تذكرتُ: في طفولتي زارَ ساحرٌ متجوّلٌ القصرَ وأذهلَ الجميعَ بقولهِ أنهُ يمكنهُ التحكُّمَ في قلبهِ، ثم ليثبتَ قولهُ جعلني

أتفقدُ نبضهُ مرةً فأحسستُ به، ثم بعدَ ثوانٍ تفقدتُ النبضَ ثانيةً فلمْ أجدهُ».

- «وأنتَ استخدمتَ الخدعةَ نفسها؟».

كانت دنيا تستمعُ باهتمامٍ شديدٍ يُرى في عيون الأطفالِ عندما يجذبهم شيءٌ ما.

أجابَ ليون: «أجل، كل ما تحتاجينهُ هو أن تضعي كرةً مطاطيةً -أو شيئًا مشابهًا- تحتَ إبطكِ وتضغطي عليها، وفي ثوانٍ سيختفي نبضُ قلبكِ مِن معصمكِ».

سألت دنيا: «وماذا بعدَ ذلكَ؟».

أجابَ ليون: «لا شيءَ؛ حالفني الحظُّ وتفقدَ الجنودُ معصمي وظنوا أني ميّتٌ. الجزءُ الأهمُّ أتى قبلَ ذلكَ، فعندما نادى محمد الرماةَ لينزلوا إليهِ، انتقلتُ إلى عربةِ لِيَا المملوءةِ بالدمى، وانتقلت لِيَا لتختبأ تحتَ العربةِ -متمسكةً بأرضيتها الخشبيةِ مِن الأسفلِ-، أما نورة فتسللت خارجَ القريةِ بمفردها. نهايةُ القصةِ... إن سألتني، نحن محظوظون أن مثل هذه الخطةِ نجحت».

- «ها أنتَ تقللُ مِن شأنِ أعمالكَ ثانيةً».

- «المهمُّ الآن أن ننظرَ إلى ما ينتظرنا بالمستقبلِ...».

بعدَ يومين، في الصباحِ الباكرِ، وصلَ ليون ومَن معهُ إلى قريةِ دِنْت، أولى قرى ألسندا، بعدَ عبورِ الحدودِ بين ألسندا وديمنتيا. بعثَ

سامح لِيَا لتتفقدَ الأوضاعَ بالقريةِ، وعندما عادت تؤكِّدُ أمنها، قادَ سامح الجميعَ إلى نُزُلٍ صغيرٍ.

كانت قريةُ دِنْت صغيرةً -أصغرَ مِن مشَّى-، ولكنها كغيرها مِن القرى الحدوديةِ تميَّزت بسورٍ خشبيٍّ محيطٍ بها كليًّا وكذلكَ ببيوتٍ مِن الخشبِ فقط. ووسطَ هذه البيوتِ كان النزلُ الصغيرُ، الذي سعدَ صاحبهُ الوطنيُّ باستضافةِ الضيوفِ، بلا أن يسألَ أيَّ أسئلةٍ.

وفي حجرةِ استقبالِ النُزُلِ، كان ليون على وشكِ أن يتركَ الجميعَ ليرتاحَ بغرفتهِ بقيةَ اليومِ، حين تفاجأ بصوتِ طبقٍ يقع على الأرضِ وينكسرُ.

- «صاحب السموّ!».

سمع ليون الصوتَ في حجرةِ الاستقبالِ الخاليةِ مِن غير مرافقيهِ، فنظرَ ناحيتهُ، ولكنهُ لمْ يسعهُ الوقتُ ليرى مَن وقفَ هناكَ؛ في اللحظةِ التاليةِ، أسرعَ شخصٌ ما باحتضانهِ باكيًا.

ذُهِلَ ليون لحظةً، ثم قالَ: «إلياس؟ هذا أنتَ؟».

لمْ يهدأ الفتي الذي كان بسنِّ ليون، وأكملَ بكاءهُ قائلًا: «الحمدُ لله على سلامتكَ، على عودتكَ! الحمد لله!».

ووسطَ كلماتهِ، وخزَ محمد سامح في جنبهِ، وسألهُ بصوتٍ خافتٍ: «مَن هذا؟».

أجابَ سامح: «إلياس، خادمُ الأميرِ ليون الخاصُّ، تربَّى معهُ منذ الصغرِ ليكونَ خادمًا وفيًّا طوالَ العمرِ... أما لليون، فهو كالأخ الصغيرِ».

كان إلياس يرتدي ملابس عامة الناسِ البسيطةَ، ولمْ يظهرْ عليهِ ما يميزهُ غير شعرهِ الأبيضِ، الذي تفرَّقَ مِن منتصفِ رأسهِ ليغطيها كلها ويصلَ إلى عينيهِ الخضراوتين.

تحدَّثَ ليون أمامَ الباكي: «اهدأ يا إلياس، أنا بخيرٍ. ماذا عنكَ؟».

- «أنا بخيرٍ لأنكَ بخيرٍ».

ابتسمَ ليون ووضعَ يدهُ على كتفِ إلياس الذي توقَّفَ عن البكاءِ.

- «أجل! صاحب سموٍّ—».

- «كم مرةً قلتُ لكَ في حياتي أن تناديني ليون؟».

- «الأميرةُ، يجبُ أن—».

قاطعَ سامح كلماتِ إلياس، قائلًا: «لكلِّ شيءٍ وقتهُ، دع الأميرَ يرتاح الآن يا إلياس».

ترددَ إلياس لحظةً، ثم غلبت وظيفتهُ على إحساسهِ، فانحنى وقالَ: «عذرًا، صاحبَ السموِّ».

تنهدَ ليون وقالَ: «يبدو أنكَ أنتَ يا سامح مَن تحملهُ على التصرُّفِ بهذه الرسميةِ الزائدةِ».

تجاهلَ سامح التعليقَ وأكملَ: «ارتح إلى المساء، وحينها لنا حديثٌ».

جلسَ ليون وسامح بطاولةٍ في حجرةِ استقبالِ النُزُلِ في أولى ساعاتِ المساءِ، وباستثناءِ إلياس الذي وقفَ بجانبِ ليون، كانت الحجرةُ خاليةً تمامًا مِن البشرِ، أي مكانًا مناسبًا ليتحدَّثوا في هدوءٍ.

بدأ سامح: «إن أردتَ أن تعصِفَ بالعاصمةِ كلها وتُنقذَ الأميرةَ نادين، فلا مانعَ عندي. ولكن عندي طلبٌ سأطلبهُ منكَ الآن».

-«أجل؟».

- «في طريقنا للعاصمةِ، سنتوقَّفُ في محطةٍ على الطريقِ، جبل سَوَاصَخْر. هناكَ أمرٌ يجِبُ أن أتحققَ منهُ هناكَ وأريدكَ معي... فكما ترى، وصلني رسولٌ اليومَ بأجددِ الأخبارِ...».

استمرَّ سامح في الكلامِ، ولكن ذهنَ ليون توقَّفَ عند كلمة (جبل سَوَاصَخْر)، وأخذَ الاسمُ يُعادُ في ذهنهِ إلى أن صارَ صدى صوتٍ بعقلهِ، ثم جاءَ صوتٌ آخر -صوتٌ سمعهُ مِن قبل- يقولُ: «أريدُ لقاءكَ... أريدُ لقاءكَ!».

فكَّرَ ليون: *«إنهُ ذلكَ الصوتُ... نفسهُ الذي سمعتهُ في قتالي مع قاسم الجراح...»*.

وبعدَ هذه الفكرةِ الأخيرةِ، صارَ ذهنُ ليون صافيًا، واختفت كلُّ الأصواتِ، إلا صوتُ سامح وهو يقولُ: «ليون، ما الأمرُ؟»، وبعدهُ صوتُ صياحُ إلياس: «صاحب السموِّ!».

سقطَ ليون مِن كرسيهِ إلى الأرضِ، وأسرعَ إلياس ليتفقدهُ.

في ذهنِ ليون صدَّى صوتٌ: «لأني أحبكَ».

- «إنهُ لا يفيقُ! ليون!».

خاتمة

[«على قيدِ الحياةِ... يركضُ كَمَن يلاحقُ هدفًا ولا عِلْمَ لهُ ما هو».

إن توقَّفَ، اختفى الهدفُ.

إن نظرَ للخلفِ، لما استطاعَ المضيَّ إلى الأمامِ.

ولكن إن لم يتوقَّفْ وينظرْ إلى الخلفِ، لن يعلمَ لماذا يلاحقُ الهدفَ، ولن يعلمَ سببًا لتقدُّمِهِ.

في كلِّ العصورِ، هذا هو التناقضُ الظاهريُّ لـ«التقدُّمِ الرجعيِّ».]

هكذا سُــطرت الكلماتُ في مخطوطاتِ الملائكةِ، ولكن هل لها معنى؟

لكلِّ مَن قد يسألُ سؤالًا كهذا، الإجابةُ ليست بسيطةً، ولا يجبُ أن تكونَ بسيطةً، فلا تفضِّل البساطةَ، وفكِّر في كلماتِ هذه الإجابةِ:

مَن يتقدَّم بلا ماضٍ لا يتقدَّمُ؛ ومَن يَعِش بالماضي لا يتقدَّمُ.

لم يخترْ ليون أن ينهضَ ويتقدَّمَ نحو المســتقبلِ إلا عندما علمَ بتفاصيلِ ماضيهِ؛ مِن ذلك الماضي تحققَ مِن أهدافهِ وقدرتهِ واستطاعَ بناءَ قرارٍ. سألَ نفسهُ: ما الذي يمكنني «أنا» أن أفعلَ؟ ما الذي أريدُ «أنا» أن أفعلَ؟ ثم أجابَ مِن ماضــيهِ، مما تعلَّمَ، مما مرَّ بهِ... وعثرَ على طريقٍ طويلٍ قد يوصلهُ إلى المستقبلِ الذي يحلمُ بهِ.

لســـتُ أبالغُ إن قلتُ أنَّ كلَّ واحدٍ منا يمتلكُ إمكانيةَ وقوةَ أن يصـبحَ بطلَ أو بطلةَ مأسـاةٍ جميلةٍ طويلةٍ، تملأها الراحةُ والهدوءُ والملُ والرتابةُ، إذا سـقطَ فريسـةً للتقدُّمِ الرجعيّ -التقدُّمَ بلا هدفٍ ولا ماضٍ-. كيفَ؟ بأن ينسى نفسهُ وسطَ تتابعِ الساعاتِ والأيامِ.

وكذلكَ لستُ أبالغُ إن قلتُ أنَّ كلَّ واحدٍ منا يمتلكُ إمكانيةَ وقوةَ تحويلِ هذه المأســاةِ إلى ما هو أفضــلُ... ربما بأن يتوقفَ، يفكِّرَ، يعرفَ ســببًا لحياتهِ غيرَ ما فرضــهُ الآخرون، يتذكَّرَ مَن هو ولماذا وُلِدَ، ثم يتقدَّمَ... حتى ولو إلى اليأسِ؛ فإنْ يَئِسَ، بنهايةِ سَـيْرِهِ، سـينظرُ إلى الخلفِ ليرى طريقًا طويلًا يلمعُ بضوءِ خطواتهِ.

أسألُ للمرةِ الأولى: ما هي مخطوطاتُ الملائكةِ؟

فهرس الموضوعات

الأميرُ، مهْزومًا 3

الأميرُ، اسمهُ: ليون 13

الأميرُ، بين الحياةِ والموتِ 23

الأميرُ، يختارُ المستقبلَ 38

الأميرُ، ميِّتًا 59

الأميرُ، ثائرًا 73

الأميرُ، رجلًا لرجلٍ 84

الأميرُ، نحو المستقبلِ إلى أن يأتي الفجرُ 94

خاتمة 105

فهرس الموضوعات 108